شاهد على العصر

جمـــال الغيطانـــي

شاهد على العصر

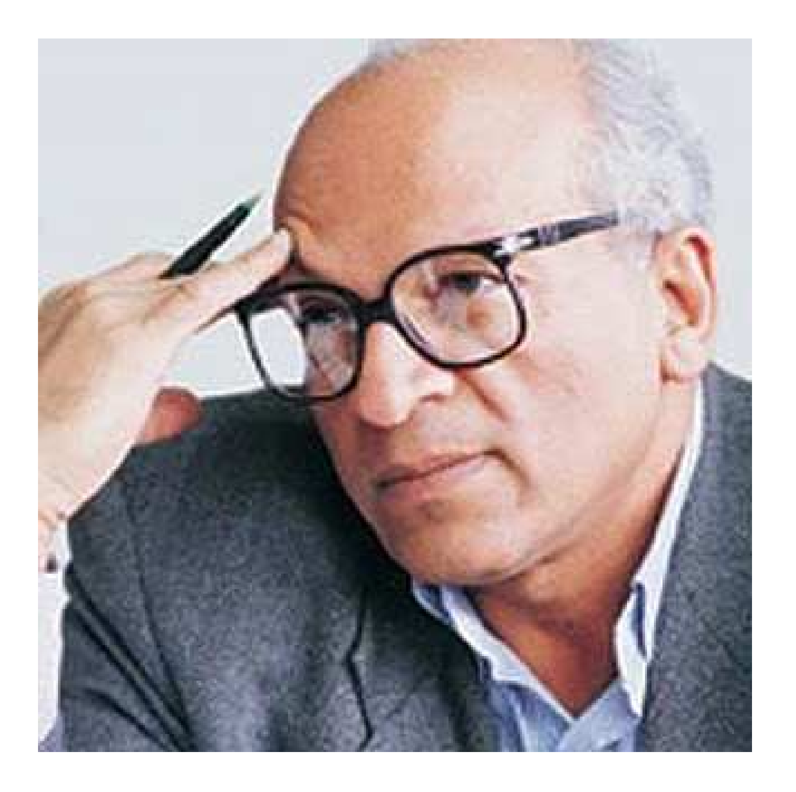
يرويه

جمـــال الغيطانـــي

مــع

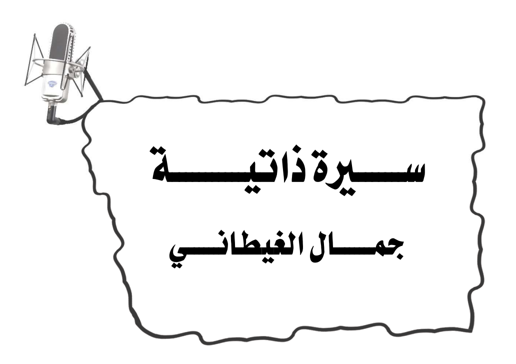
عمــر بطيشــة





جمـــــال الغيطانـــــي

مقدمة الناشر


سيرة ذاتية
جمال الغيطاني

جمال أحمد الغيطاني علي: روائي وصحفي مصري ورئيس تحرير صحيفة أخبار الأدب المصرية.

نشأته:

ولد جمال الغيطاني في ٩ مايو ١٩٤٥، في قرية جهينة محافظة جرجا (محافظة سوهاج حاليًا). نشأ في القاهرة القديمة، حيث عاشت الأسرة في منطقة الجمالية، وأمضى فيها ثلاثين عامًا. تلقّى تعليمه في مدرسة عبد الرحمن كتخدا الابتدائية، ومدرسة الجمالية الابتدائية. تلقّى تعليمه الإعدادي في مدرسة محمد علي الإعدادية.

بعد الشهادة الإعدادية التي حصل عليها عام ١٩٥٩، التحق بمدرسة العباسية الثانوية الفنية التي درس بها ثلاث سنوات فن تصميم السجّاد الشرقي وصباغة الألوان.

تخرّج عام ١٩٦٢، وعمل في المؤسسة العامّة للتعاون الإنتاجي رسّامًا للسجّاد الشرقي، ومفتِّشًا على مصانع السجّاد الصغيرة في قرى مصر، أتاح له ذلك زيارة معظم أنحاء ومقاطعات مصر في الوجهين القبلي والبحري.

تزوّج عام ١٩٧٥، من ماجدة الجندي، رئيس تحرير مجلة علاء الدين، للأطفال الصادرة عن مؤسسة الأهرام، أب لمحمد وماجدة.

عمله واعتقاله

في عام ١٩٦٣ استطاع الغيطاني أن يعمل كرسام في المؤسسة المصرية العامة للتعاون الإنتاجي حيث استمر بالعمل مع المؤسسة إلى عام ١٩٦٥.

تم اعتقاله في أكتوبر ١٩٦٦ بتهمة الانتماء الى تنظيم ماركسي سرّي، وأمضى ستة أشهر في المعتقل، تعرّض خلالها للتعذيب والحبس الإنفرادي. وأُطلق سراحه في مارس ١٩٦٧. عمل سكرتيرًا للجمعية التعاونية المصرية لصناع وفناني خان الخليلي وذلك إلى عام ١٩٦٩، وأتاح له ذلك معايشة العمّال والحرفيين الذين يعملون في الفنون التطبيقية الدقيقة.

بعد صدور كتابه الأول عرض عليه محمود أمين العالم المفكر الماركسي المعروف، والذي كان رئيسًا لمؤسسة أخبار اليوم الصحفية أن يعمل معه فانتقل للعمل بالصحافة.

بعد أن عمل في الصحافة، بدأ يتردد على جبهة القتال بين مصر وإسرائيل بعد احتلال إسرائيل لسيناء، وكتب عدة تحقيقات صحفية تقرر بعدها تفرغه للعمل كمحرر عسكري لجريدة الأخبار اليومية واسعة الانتشار، وشغل هذا التخصص حتى عام ١٩٧٦. شهد خلالها حرب الاستنزاف ١٩٦٩ – ١٩٧٠ على الجبهة المصرية، وحرب أكتوبر ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية. ثم زار فيما بعد بعض مناطق الصحراء في الشرق الأوسط، مثل شمال العراق عام ١٩٧٥، ولبنان ١٩٨٠، والجبهة العراقية خلال الحرب مع إيران (عام ١٩٨٠– ١٩٨٨).

وفي عام ١٩٧٤ انتقل للعمل في قسم التحقيقات الصحفية، وبعد ١١ عامًا في ١٩٨٥ تمت ترقيته ليصبح رئيسًا للقسم الأدبي بأخبار اليوم.

ثم رئيسًا لتحرير (كتاب اليوم) السلسلة الشهريّة الشعبية، ثم رئيسًا لتحرير أخبار الأدب مع صدورها عام ١٩٩٣.

يشغل جمال الغيطاني منصب رئيس تحرير جريدة أخبار الأدب منذ ١٩٩٣.

الجوائز

- جائزة الدولة التشجيعية للرواية عام ١٩٨٠.
- جائزة سلطان العويس، عام ١٩٩٧.
- وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.
- وسام الاستحقاق الفرنسي من طبقة فارس، Chevalier de l'Ordre des Arts et des Lettres عام ١٩٨٧.
- جائزة لورباتليون، Prix Laure-Bataillon لأفضل عمل أدبي مُترجم إلى الفرنسية عن روايته التجلّيات مشاركة مع المترجم خالد عثمان ١٩ نوفمبر ٢٠٠٥.
- جائزة جرينزانا كافور للأدب الأجنبي - إيطاليا، ٢٠٠٦.

- جائزة الدولة التقديرية (مصر) عام ٢٠٠٧.
- جائزة معهد العالم العربي، باريس، قصة نثار المحو، ٢٠٠٩.

أحداث الإمبراطور:

و هي عبارة عن مجموعة اتهامات تم توجيهها إلى الغيطاني وذلك بعد نشر موقع إلكتروني دانماركي يدعى الإمبراطور وتنسب إدارته إلى الشاعر العراقي أسعد الجبوري، حيث تم اتهامه بأنه الكاتب الحقيقي لرواية زبيبة والملك المنسوبة لصدام حسين. كما تم نشر تلميحات إلى أن عدي طلب منه كتابة قصة له أيضًا. ما دعم تلك الأقوال هو كتاب حراس البوابة الشرقية والذي أصدره الغيطاني عام ١٩٧٥ في بغداد. و هو أيضًا المسمى الذي أطلق على الجيش العراقي لاحقًا أثناء الحرب العراقية الإيرانية.

قدمت الكثير من الجهات الأدبية إحتجاجها على مثل هذه التهم و أعتبروها محاولة لإسكات الغيطاني بعد كتابته بعض

مقالات تنتقد التدخل الأمريكي في العراق، بينما أكدت مجموعة أخرى حدوث هذا الأمر.

بالنسبة للغيطاني فقد حوّل الموضوع لمحاميه ليتولى متابعة الأمر من ناحية قانونية و جنائية.

إنتاجه الأدبي

كتب أول قصة قصيرة عام ١٩٥٩. نشر أول قصة يوليو ١٩٦٣. وعنوانها (زيارة) في مجلة الأديب اللبنانية. وفي نفس الشهر نشر مقالًا في مجلة الأدب التي كان يحررها الشيخ أمين الخولي، وكان المقال حول كتاب مترجم عن القصة السيكولوجية.

كتب ثلاث روايات في الفترة من ١٩٦٣ و١٩٦٨.

صدر أول كتاب له عام ١٩٦٩، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» صدر متضمنًا لخمس قصص قصيرة كتبت كلّها بعد هزيمة الجيش المصري في سيناء عام ١٩٦٧. لاقى الكتاب ترحيبًا واسعًا من القرّاء والنقّاد.

منذ يوليو ١٩٦٣ وحتى فبراير ١٩٦٩ نشر عشرات القصص القصيرة، نشرت في الصحف والمجلات المصرية والعربية، كما نشر قصتين طويلتين؛ الأولى بعنوان «حكايات موظف كبير جدًا». نشرت في جريدة المحرر اللبنانية عام ١٩٦٤، والثانية «حكايات موظف صغير جدًا». نشرت في مجلة «الجمهور الجديد» عام ١٩٦٥.

في فترة ما قبل الصحافة من عام ١٩٦٣، حين نشر أول قصة قصيرة له، إلى عام ١٩٦٩، قام بنشر ما يقدر بخمسين قصة قصيرة، إلا أنه من ناحية عملية بدأ الكتابة مبكّرًا، إذ كتب أول قصة عام ١٩٥٩، بعنوان نهاية السكير.

بدأ النقاد بملاحظته في مارس ١٩٦٩، عندما أصدر كتابه أوراق شاب عاش منذ ألف عام و الذي ضمّ خمس قصص قصيرة، واعتبرها بعض النقّاد بداية مرحلة مختلفة للقصة المصرية القصيرة.

من مؤلفاته :

- حراس البوابة الشرقية.
- متون الأهرام.
- شطح المدينة.
- منتهى الطلب إلى تراث العرب.
- خلسات الكرى.
- سفر البنيان.
- حكايات المؤسسة.
- التجلّيات (ثلاثة أجزاء).
- دنا فتدلى.
- رشحات الحمراء.
- نوافذ النوافذ.
- نثار المحو.
- مطربة الغروب.
- وقائع حارة الزعفراني.

- الرفاعي.
- أوراق شاب عاش منذ ألف عام.
- رسالة في الصبابة والوجد.
- الخطوط الفاصلة (يوميات القلب المفتوح).
- أسفار المشتاق.
- نجيب محفوظ يتذكر.
- مصطفى أمين يتذكر.
- المجلس المحفوظية.
- رسالة البصائر في المصائر.

بعد صدور كتابه الأول، أصدر الأعمال التالية:

١ - أوراق شاب عاش منذ ألف عام (مجموعة قصصية) الطبعة الأولى ١٩٦٩ الطبعة الخامسة ١٩٨٧ (صدر في بغداد ـ بيروت ـ القدس المحتلة عن دار صلاح الدين) الطبعة السادسة ١٩٩١ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- أرض.. أرض (مجموعــة قصــصية) الطبعــة الأولى ١٩٧٢ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ١٩٨٠ بيروت دار المسيرة الطبعـة الثالثـة ١٩٩١ القـاهرة ــ الهيئـة المصرية العامـة للكتاب.

٣- الزويـل (قـصة طويلـة) الطبعـة الأولى ١٩٧٤ بغـداد ــ وزارة الإعلام الطبعة الثانية ١٩٨٠ بـيروت ــ دار المسيرة الطبعـة الثالثـة ١٩٨٧ القاهرة ـ مكتبة مدبولي الطيعة الرابعة ٢٠٠٧ القاهرة ـ دار الشروق.

٤- الزيني بركات (قـصة طويلـة) الطبعـة الأولى ١٩٧٤ دمشق ــ وزارة الثقافة الطبعة الثانية ١٩٧٥ القاهرة ـ مكتبـة مـدبولي الطبعـة الثالثة ١٩٨٥ القاهرة ـ دار المستقبل العربي الطيعـة الرابعـة ١٩٨٨ القاهرة ـ كتاب اليوم ـ مؤسسة أخبار اليوم الطبعة الخامسة ١٩٨٩ القاهرة ـ دار الشروق الطبعة السادسة ١٩٩١ تونس ـ دار الجنوب الطبعة السابعة ١٩٩١ بغداد ـ دار الـشئون الثقافيـة الطبعـة الثامنـة

١٩٩٤ القاهرة ـ دار الشروق الطبعة التاسعة ٢٠٠٥ القاهرة ــ دار الشروق.

٥- وقائع حارة الزعفراني (قصة طويلة) الطبعة الأولى ١٩٧٦ القاهرة ـ دار الثقافية الجديدة الطبعة الثانية ١٩٨٦ القاهرة ـ مكتبة مدبولي الطبعة الثالثة ١٩٨٧ بغداد ـ دائرة الشئون الثقافية الطيعة الرابعة ١٩٩١ القاهرة ـ مكتبة مدبولي.

٦- الحصار من ثلاث جهات (مجموعة قصصية) الطبعة الأولى ١٩٧٥ دمشق ـ اتحاد الكتاب العرب الطبعة الثانية ١٩٨٠ بيروت دار المسيرة الطبعة الثالثة ١٩٩١ القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب.

٧- حكايات الغريب (مجموعة قصصية) الطبعة الأولى ١٩٧٦ القاهرة ـ كتاب مجلة الإذاعة الطبعة الثانية ١٩٨٠ بيروت ــ دار المسيرة الطبعة الثالثة ١٩٩١ القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب.

٨- ذكر ما جرى (مجموعة قصصية) الطبعة الأولى ١٩٧٨ القاهرة مكتبة مدبولي الطبعة الثانية ١٩٨٠ بيروت ــ دار المسيرة الطبعة الثالثة ١٩٩١ القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب.

٩- الرفـــاعي (روايـة) الطبعـة الأولى ١٩٧٨ القـاهرة ــ الهيئـة العامة للكتاب الطبعة الثانيـة ١٩٨٠ بـيروت ــ دار المسيرة الطبعـة الثالثة ١٩٩١ القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب.

١٠- خطط الغيطاني (رواية) الطبعـة الأولى ١٩٧٨ بـيروت ــ دار المسيرة الطبعة الثانية ١٩٨٠ القاهرة ـ مكتبة مدبولي.

١١- كتاب التجليات (السفر الأول) (روايـة) ١٩٨٣ القـاهرة ــ دار المستقبل العربي بيروت ـ دار الوحدة العربية.

١٢- كتاب التجليـات (السفر الثـاني) (روايـة) ١٩٨٥ القـاهرة ــ دار المستقبل العربي.

١٣- كتاب التجليات (السفر الثالث) (روايـة) ١٩٨٧ القـاهرة ــ دار المـستقبل العـربي- كتـاب التجليـات: الأسـفار الثلاثـة (مجلـد) الطبعة الأولى ١٩٩٠ القاهرة ـ دار الشروق الطبعـة الثانيـة ٢٠٠٦ القاهرة ـ دار الشروق.

١٤- إتحاف الزمان بحكاية جلبي السلطان (رواية) الطبعة الأولى ١٩٨٥ القاهرة ـ دار المستقبل العربي الطبعة الثانية ١٩٩٠ القاهرة الهيئة العامة للكتاب.

١٥- رسالة في الصبابة والوجد (رواية) الطبعة الأولى ١٩٨٧ القاهرة ـ روايات الهلال الطبعة الثانية ١٩٩٠ القاهرة ـ دار الشروق.

١٦- رسالة البصائر في المصائر (رواية) الطبعة الأولى ١٩٨٨ القاهرة ـ روايات الهلال الطبعة الثانية ١٩٩٠ القاهرة ـ مكتبة مدبولي.

١٧- شطح المدينة (رواية) الطبعة الأولى ١٩٩٠ القاهرة ـ روايات الهلال الطبعة الثانية ١٩٩١ القاهرة ـ دار الشروق الطبعة الثالثة ٢٠٠٧ القاهرة ـ دار الشروق.

١٨- هاتف المغيب (رواية) الطبعة الأولى ١٩٩٢ القاهرة ـ روايات الهلال.

١٩- ثمار الوقت (مجموعة قصصية) الطبعة الأولى ١٩٨٩ القاهرة ـ كتاب اليوم الطبعة الثانية ١٩٩٠ القاهرة ـ الهيئة العامة للكتاب.

٢٠- أسفار المشتاق (أدب رحلات) ١٩٩٢ القاهرة ـ دار سعاد الصباح.

٢١- منتصف ليل الغربة (مختارات قصصية) ١٩٨٤ القاهرة ـ الهيئة المصرية للكتاب

٢٢- أحراش المدينة (مختارات قصصية) ١٩٨٥ القاهرة ـ مؤسسة أخبار اليوم - كتاب اليوم.

٢٣- المصريون والحرب من صدمة يونيو إلي يقظة أكتوبر (دراسات ومشاهدات) ١٩٧٤ القاهرة ـ مؤسسة روز اليوسف.

٢٤- حراس البوابة الشرقية (الجيش العراقي في حرب أكتوبر) (دراسات ومشاهدات) الطبعة الأولى ١٩٧٥ القاهرة ـ مكتبة مدبولي الطبعة الثانية ١٩٧٥ بيروت ـ دار الطليعة.

٢٥- نجيب محفوظ يتذكر الطبعة الأولى ١٩٨٠ بيروت ـ دار المسيرة الطبعة الثانية ١٩٨٧ القاهرة ـ مؤسسة أخبار اليوم.

٢٦- مصطفي أمين يتذكر ١٩٨٠ القاهرة ـ مكتبة مدبولي.

٢٧- ملامح القاهرة في ألف عام الطبعة الأولى ١٩٨٣ القاهرة ـ كتاب الهلال الطبعة الثانية ١٩٨٤ القاهرة ـ مكتبة مدبولي.

٢٨- أسبلة القاهرة ٢٩- مقامات بديع الزمان الهمذاني (تحقيق الإمام الشيخ محمد عبده) (دراسة ومراجعة) ١٩٨٨ القاهرة ـ مؤسسة أخبار اليوم.

٣٠- شطف النار (مجموعة قصصية) ١٩٩٦ القاهرة ـ هيئة قصور الثقافة.

٣١- مختارات أبي حيان التوحيدي ١٩٩٣ القاهرة ــ المجلس الأعلي للثقافة.

٣٢- توفيق الحكيم يتذكر ١٩٩٤ القاهرة ــ المجلس الأعلي للثقافة.

٣٣- مطربة الغروب (مجموعة قصصية) ١٩٩٦ القاهرة ــ دار الحضارة العربية.

٣٤- سفر البُنيان (رواية) ١٩٩٧ القاهرة ـ روايات الهلال.

٣٥- حكايات المؤسسة (رواية) ١٩٩٧ القاهرة ـ دار الشروق.

٣٦- الخطوط الفاصلة (ترجمة ذاتية) ١٩٩٧ القاهرة ـ الدار المصرية اللبنانية.

٣٧- خلسات الكري (دفتر التدوين الأول) الطبعة الأولى ١٩٩٨ القاهرة ـ دار شرقيات الطبعة الثانية ٢٠٠٠ القاهرة ـ دار الشروق.

٣٨- دنا فتدلي (دفتر التدوين الثاني) الطبعة الأولى ١٩٩٩ القاهرة ـ دار الحضارة العربية الطبعة الثانية ٢٠٠٣ القاهرة ـ دار الشروق.

٣٩- متون الأهرام (مجموعة قصصية) ٢٠٠٢ القاهرة ـ دار الشروق.

٤٠- حكاية الخبيئة (مجموعة قصصية) ٢٠٠٢ القاهرة ـ دار الشروق.

٤١- رشحات الحمراء (دفتر التدوين الثالث) ٢٠٠٣ القاهرة ـ دار الشروق.

٤٢- نوافذ النوافذ (دفتر التدوين الرابع)) ٢٠٠٤ القاهرة ـ دار الشروق.

٤٣- نثار المحو (دفتر التدوين الخامس) ٢٠٠٥ القاهرة ــ دار الشروق.

٤٤- يومياتي المعلنة (يوميات) ٢٠٠٦ القاهرة ـ دار نهضة مصر.

٤٥- المجالس المحفوظية (يوميات) ٢٠٠٦ القاهرة ـــ دار الشروق.

٤٦- يوميات الحصر (يوميات) ٢٠٠٦ القاهرة ـ أخباراليوم.

قصص

- ١١/ ٩/ ٢٠٠١ – أوصاف.
- ٢١/ ٦/ ٢٠٠١ – نفس.
- ٦/ ٤/ ٢٠٠١ – سوزي.
- ٤/ ١/ ١٩٧٣ - قصص البدايات – البيرق.
- ١٩/ ١٢/ ١٩٦٩ - قصص البدايات - بكاء الحزين في مشهد الحسين.

كتبه المترجمة

ترجم العديد من مؤلفاته إلى أكثر من لغة منها:

إلى الألمانية

- الزيني بركات عام ١٩٨٨
- وقائع حارة الزعفراني عام ١٩٩١
- رواية رسالة البصائر والمصائر عام ٢٠٠١

إلى الفرنسية

- الزيني بركات عام ١٩٨٥
- رسالة البصائر والمصائر عام ١٩٨٩
- وقائع حارة الزعفراني عام ١٩٩٦
- شطح المدينه عام ١٩٩٩
- متون الأهرام عام ٢٠٠٠
- حكايات المؤسسة عام ٢٠٠٢
- رواية التجليات بأجزائها الثلاثة في مجلد واحد عام ٢٠٠٥

قضية «زبيبة والملك»:

تعرّض جمال الغيطاني لاتهامات بأنه الكاتب الحقيقي لرواية زبيبة والملك، التي لمح صدام حسين بأنه كاتبها. وقد بادر جمال الغيطاني فكذب الخبر، جملة وتفصيلا.

لكن الأمور لم تقف عند هذه النقطة. فقد أثيرت زوبعة ثقافية ونشر بعض الأدباء العرب بيانًا تضامنيًّا مع الغيطاني. وكتبت وزيرة الثقافة السورية السابقة د. نجاح العطّار، رسالة للغيطاني قالت فيها: «لم أصدّق أن يجرؤ أحد على توجيه مثل هذه التهمة التي وجهوها إليك».

وأصدر اتحاد الكتاب الفلسطينيين، هو الآخر، بيانًا حمل عنوان «ارفعوا أيديكم عن الروائي جمال الغيطاني»، وجاء فيه ما يلي : «يتابع الكتاب الفلسطينيون بقلق بالغ الحملات المسعورة لأجهزة الأعلام الإمبريالية والاستعمارية والصهيونية التي ترافق العدوان البشع الذي يتعرض له شعبنا في العراق الشقيق والنيّات المبيّتة للنيل من استقلال الأقطار العربية في أجواء صراع

الحضارات. وإن ما يتعرض له الروائي جمال الغيطاني الآن من اتهامات حول كتابته لرواية زبيبة والملك، هو جانب من جوانب العدوان على واحدة من أهم القيم الإنسانية وهي حرية الرأي وحرية التعبير. وإن محاولة اغتيالهما إنما هو اغتيال للثقافة العربية التي هي المركز الأساس في حضارة الآمة ومستقبل وجودها».


مقدمة الحوار

شهادة ثرية يدلي بها الكاتب الكبير والروائي القدير الأستاذ جمال الغيطاني، تحدث فيها عن جيله.. جيل ثورة يوليو التي انحازت للفقراء وأتاحت لهم التعليم المجاني، ورغم تناقضه مع هذه الثورة في عدة مراحل أدت به إلى الانتظام في التنظيمات اليسارية السرية، مما أدى لاعتقاله ووصفه بأنه جيل وُلد خارج الأجهزة الرسمية ولا يدين إلا لنفسه، وهو أخيرًا الجيل الذي انكسر في هزيمة ٦٧ التي شبهها بهزيمة مصر المملوكية أمام جحافل الغزو العثماني، وهي التي سجلها في روايته الزيني بركات، وذكر أن أسباب الهزيمتين مشتركة تاريخيًا، وطالب بدراسة أسباب الهزيمة وكيفية مولد انتصارين كبيرين منها الانتصار الأول إمبراطورية محمد علي العظيمة، والانتصار الثاني هو انتصار أكتوبر ٧٣ العظيم.

وأكد أن جيله لم يبرر الهزيمة بينما كان بعض كبار الكتاب يبررونها في ذلك الحين وهو يصر على أن جيله ليس جيل الهزيمة،

وإنما الجيل الذي تجاوز الهزيمة ومعظمهم كان مجنّدًا ومكث في الخنادق من ٦٧ إلى ٧٤ إذن، هو الجيل الذي عبر.

ذكر الأستاذ الغيطاني أيضًا أن الانفتاح الاستهلاكي العشوائي جاء بعد انتصار أكتوبر، وأدى إلى تحوّلات اجتماعية واقتصادية عميقة أضرت بجيله أيضًا ودفعوا ثمنها، فقد اهتزت القيم وارتفعت قيمة المال والثراء على حساب قيمة العلم والثقافة، وأكد أن جيله يكاد يغيب الآن رغم أنه من المفروض أنه كان يتسلم قيادة الحركة الثقافية والاجتماعية، وأنه جيل يشعر بالاغتراب وسط عصر له مفرداته المختلفة، وأبدى دهشته من رعاية ثورة يوليو للمثقفين، وفي نفس الوقت قمع المثقفين، وروى طرفًا من قصص التعذيب في سجون الستينيات، وهي التي لا يغتفرها أبدًا لثورة يوليو، ومع ذلك هو يدافع عن عبد الناصر كعدالة اجتماعية استهدفت وجه الوطن، وذلك نوع من الثبات على المبدأ وليس مثل حزب المبررين.

قال أيضًا عن قرار الحرب والعبور أنه أعظم وأخطر قرار في تاريخ مصر الحديث، وأنه المجد الذي يبقى للرئيس الراحل أنور السادات.

انتقل الكاتب الكبير بعدى ذلك إلى واقع الحياة الثقافية ذاكرًا أن الكتاب في تراجع، وهذا ليس في مصر فقط ولكن في العالم العربي ككل، وسجل معارضته المستمرة لفكرة المهرجانات الثقافية، التي تشهدها حياتنا الثقافية بانتظام منذ عدة سنوات؛ لأن هذه المهرجانات تقوم – في نظره - على الفرقعة، العمل الثقافي يحتاج إلى عمل طويل النَّفَس.

وأشاد كذلك بذكاء الرأسمالية المصرية الوطنية، وبدور طلعت باشا حرب، محددًا كلامه في هذه النقطة بالتكلم عن الرأسمالية الواعية الوطنية وليس الرأسمالية التهريبية.

ثم تطرّق بعد ذلك إلى الغناء ذاكرًا ما للغناء عنده من قيمة، فمثلًا يؤرخ حياته النفسية والعاطفية ببعض الأغاني، وبين أن

هناك تراث غنائي مصري غنيٌّ جدًا لا يُذاع، في حاجة إلى إعادة إذاعته لكل من هم على شغف بذلك التراث.

تحدّث بعد ذلك عن التراكم والإبداع وما بينهما من تلازم في كل عمل إنساني له قيمته، وبين ما لمصر من أفضال في مجالات عدة فهي ذات إبداع متدفّق دائمًا.

شهادة تحتوي على كل هذا، بل والأكثر الذي لم يسعنا الإلمام بعناصره في هذه المقدمة البسيطة لجديرة بأن تُنقل للقارئ، ولا تظل طي الكتمان عبر وسائط إعلامية قد لا تكون في متناول يد الكثير منا، في هذه الساحة لابد للكتاب أن تعلو قامته ويرسخ قدميه أكثر وأكثر في عالم المعرفة والثقافة والقيم لينقل لنا مثل هذه الدرر والنفائس


نــــص الحـــوار

شاهدنا على العصر هو الروائي العربي الوحيد الذي نشرت روايته مطبوعات «بن ون» العالمية وترجمت إلى ٢٤ لغة وهو رئيس أشهر مجلاتنا الأدبية رغم أنه لا يحمل أكثر من دبلوم المدارس الصناعية، وهو مكتشف ابن إياس[1] وهو الذي واجه إسرائيل في حرب الاستنزاف ولم يلق جزاءً إلا الفصل والاستبعاد.

---

[1] **محمد بن شهاب الدين بن أحمد بن إياس أبو البركات الحنفي**: من أشهر شراكسة مصر في أواخر دولة السلطنة الشركسيّة وينتمي إلى قبيلة الأباظة الشركسية، وُلد في القاهرة سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م، توفي في القاهرة سنة ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣م).

عالم ومؤرّخ مصري من المماليك، وهو حفيد الأمير إياس الفخري الظاهري، الذي كان يعمل لدى السلطان برقوق الشركسي وأبوه شهاب الدين أحمد من مشاهير أولاد الناس (أي الأمراء المتقاعدين).كان يهوى الشعر ويستشهد به، سواءً كان له أم لغيره، إضافة إلى الحكم والأمثال والقرآن والسنة والمأثورات الشفاهية والمكتوبة. له إسلوب مميز في الوصف، ويكتب ببساطة ووضوح بـ اللغة العربية. يعد كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور» من أهم المصادر عن تلك الفترة.امتاز تدوينه للوقائع التاريخية عن غيره من المؤرخين بالنزاهة والموضوعية وإثبات الحقيقة دون مُحاباة أو تحيّز لاستخلاص العبر من مجريات التاريخ مع أنّه كان يكتب تاريخ عصرٍ كان قومه من الشراكسة هم حكامه وسلاطينه، أي تاريخ عصر السلاطين الشراكسة في مصر

وبلاد الشام.ومما ساعد المؤرخ الكبير ابن إياس على التفرّغ لتدوين الحوادث التاريخية .بموضوعية وحرية أنه كان يعتاش من إقطاع ممنوح له (وهو ما يشبه التقاعد اليوم) لكونه من أولاد الناس(أبناء الأمراء المتقاعدين).

إن حياته رواية لا تقل إثارة عن الروايات التي كتبها وتستحق أن تُروى، الكاتب الكبير الأستاذ جمال الغيطاني أهلا بك بين شهود العصر .

أهلًا وسهلاً

أول كلمة من الممكن أن تخطر على البال الآن أن نحمد الله بعد عودتك من العلاج بسلامة ومعافًا -إن شاء الله-.

أشكرك كثيرًا، وخاصة لهذا التقديم الممتاز الذي لم يدع لي شيئًا أقوله.

ثورة يوليو

لا، فنحن ننتظر الكثير والكثير في هذه الشهادة، التي نتوقع أن تكون ثريّة، والتي أقترح - كعادة البرنامج - أن نبدأها برؤية عامة تنتظم أهم ملاحظاتك على العصر الذي عشته، وأهم الظواهر والمستجدّات والحقائق والمعطيات.

لقد أصبحت الآن في نقطة متقدمة من العمر تُتيح لأي إنسان أن يلقي نظرة على ما كان وما سيكون، أنني أنتمي إلى جيل

ولد قبل ثـورة يوليـو[٢] وتفـتح وعيـه بعـدها، فعنـدما قامـت الثـورة في١٩٥٢ كان عمري سبع سنوات، وأنا مدين لثورة يوليـو بفرصـة التعليم التي تلقيتها، وذلك نتيجة انحياز هذه الثورة للفقراء الـذين جئت من بين صفوفهم، وهذا ينطبق على معظـم أبنـاء جيلي، ذلـك الجيل الذي عرف طريقه بنفسه، هـذا أول ملمـح مهـم مـن ملامحـه والذي يضعه في اختلاف مع الجيـل الـذي سبقه مـن أبنـاء الطبقـة المتوسطة، الذين كـان لـديهم الامكانيـات وتلقـوا تعليمًا جامعيًّا أو إرثًا يمكـنهم مـن إرسـال أبنـائهم إلى فرنـسا مـثلًا كالأستاذ توفيـق

---

[٢] **ثورة يوليو**: انقلاب عسكري قام به ضباط جيش مصريون ضد الحكم الملكـي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وعرف في البداية بالحركة المباركة ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثـورة ٢٣ يوليو. بعد حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين ظهر تنظيم الضباط الأحـرار في الجـيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام التنظيم بانقلاب مسلح نجح في السيطرة على الأمور والسيطرة على المرافق الجويّة في البلاد، وأذاع البيـان الأول للثـورة بصوت أنور السادات وأجبرت الحركة الملك التنازل عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢

الحكيم[٣] أو غيره، وبرغم أنني من أبناء ثورة يوليو إلا أنني وجدت نفسي مُتناقِضًا مع الثورة - إذا جاز التعبير- في عدة مراحل.

كيف؟

عندما بدأ وعيي يتفتّح في الخمسينيات كانت الثورة قد بدأت تنحاز أكثر إلى الفئات الشعبية أو إلى الطبقات الشعبية، ولكنني كنت أشعر أن ذلك ليس بكاف.. فاعتنقت الفكر الاشتراكي[٤] نتيجة وضعي الاجتماعي وليس نتيجة رياضة فكرية

---

[٣] **توفيق الحكيم (٩ أكتوبر ١٨٩٨ - ٢٦ يوليو ١٩٨٧)**: وُلد في الإسكندرية وتوفي في القاهرة. كاتب وأديب مصري، من رواد الرواية والكتابة المسرحية العربية ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث، كانت للطريقة التي استقبل بها الشارع الأدبي العربي نتاجاته الفنية بين اعتباره نجاحًا عظيمًا تارةً وإخفاقًا كبيرًا تارةً أخرى الأثرَ الأعظم على تبلور خصوصية تأثير أدب وفكر الحكيم على أجيال متعاقبة من الأدباء، كانت مسرحيته المشهورة أهل الكهف في عام ١٩٣٣ حدثًا هامًّا في الدراما العربية؛ فقد كانت تلك المسرحية بداية لنشوء تيار مسرحي عُرف بالمسرح الذهني. بالرغم من الإنتاج الغزير للحكيم فإنه لم يكتب إلا عددًا قليلًا من المسرحيات التي يمكن تمثيلها على خشبة المسرح فمعظم مسرحياته من النوع الذي كُتب ليُقرأ فيكتشف القارئ من خلاله عالمًا من الدلائل والرموز التي يمكن إسقاطها على الواقع في سهولة لتسهم في تقديم رؤية نقدية للحياة والمجتمع تتسم بقدر كبير من العمق والوعي.

[٤] **الاشتراكية**: لغة من الاشتراك، والاشتراكية العلمية هي نظام اجتماعي اقتصادي يقوم على أيديولوجيا تقول أن الجماهير العاملة من الشعوب هي التي يجب أن تمتلك وسائل

أو نتيجة نزهة فكرية.. وكنت أقرأ مثلًا وأنا صغير روايات أرسلو بين وأحلم أن أكون مثله..

اللص الشريف.

نعم، اللص الشريف.. آخذ من الأغنياء وأعطي الفقراء، ربما كان ذلك أول طريقي إلى الفكر الاشتراكي الذي كان يحلم بالمساواة بين الناس.. والمساواة في الفرص، والمساواة في الحياة الإنسانية بشكلٍ عام.. فالجيل الذي أنتمي إليه قد مرّ بعدة تجارب كُبرى.. أرى الآن أن كل تجربة منها لتكون كفيلة بالقضاء على

الإنتاج. وبالرغم من تغير مدلولات المصطلح مع الزمن فإنه يبقى يدل على تنظيم الطبقات العاملة وتبقى الأحزاب المرتبطة به تنادي بحقوق هذه الطبقات.

تهدف الاشتراكية الي مشاركة الجميع – جميع فئات الشعب – في الإنتاج والدخل القومي وبناء الدولة واذابة الطبقات الاجتماعية والمساواه بين الجميع ماديًّا ومعنويًّا وكثيرًا ما يتم الخلط بين الشيوعية فكرانيًا والاشتراكية كمنهج اقتصادي، فالأولى أكثر شمولية وتشدُّدًا والثانية أكثر ديموقراطية وتركيزًا علي المنهج الاقتصادي، وفي حين أن الشيوعيين يؤكدون أن تصب في النهاية في مبدأ الاشتراكية التي نادي بها ماركس إلا أن الاشتراكيين لا ينظرون لأنفسهم علي أنهم ماركسيون ويطلقون علي انفسهم دائمًا الديموقراطيون الاشتراكيون. ومع هذا فإن الاشتراكية العلمية كمصطلح بدأ استعماله مع ظهور (كارل ماركس) وخصوصًا في خِضَم نقده للنظريات الاشتراكية الأخرى مثل نظرية (روبرت أوين).

جيل بأكمله، فتجربة التناقض مع الثورة قادت إلى المعتقل وإلى السجن.

ولدنا خارج الأجهزة الرسمية.. لا ندين إلا لمواهبنا، كنا نشازًا منذ البداية، وكنا غير مرغوب في شطحاتنا وكتاباتنا.... إلخ، ثم جاءت النقطة الفاصلة، التي أسمّيها النقطة المحورية التي تتمفصل حولها كل هموم هذا الجيل ومأساته وهي يونيو ٦٧[٥]،

---

(٥) **نكسة ١٩٦٧**: أو حرب حزيران أو حرب الأيام الستة، هي حرب حدثت عام ١٩٦٧ بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن وبمساعدة لوجستية من لبنان والعراق والجزائر والسعودية والكويت، انتهت بإنتصار إسرائيل واستيلائها على قطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان.

تعدّ حرب ١٩٦٧ الحرب الثالثة ضمن سلسلة الحروب التي خاضتها إسرائيل ضد العرب في ما سمي بالصراع العربي الإسرائيلي وقد انتهت باستيلاء إسرائيل على كامل دولة فلسطين، هذه المنطقة الجغرافية التي كانت السلطة القائمة عليها ما بين عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٤٨ تدعى حكومة فلسطين تحت الانتداب البريطاني وتدعو الأرض القائمة عليها فلسطين. ومعظم أهلها من العرب المسلمين والمسيحيين بالإضافة إلى أقلية من اليهود. وكان نفوذ هذه السلطة يمتد على جميع الأراضي التي يدعوها اليهود اليوم إسرائيل ويعرفها العرب كفلسطين ويطلقون عليها اسم فلسطين المحتلة. وهذه الأرض كانت جزءًا من بلاد الشام لأكثر من أربعة عشر قرنًا.

تسمى هذه الحرب (بالإنجليزية: Six Days War) وتترجمها المصادر الإسرائيلية وبعض المصادر العربية غير الرسمية والأجنبية الناطقة بالعربية كـ (حرب الأيام الستة) بالعربية، بينما تشيع تسميتها الشعبية بالعربية (النكسة).

كنت أشعر أن هناك خللًا قبل يوليو ٦٧، ولكن لم نكن نتصور أن هذا الخلل قد وصل إلى هذه الدرجة.

كانت الدعاية للإنجازات وكانت الأحلام كبيرة جدًا، ولكن ما كنّا ندري حجم النخر الذي كان موجودًا في المجتمع، والذي كانت ذروته في ١٩٦٧.

نكسة ١٩٦٧ومرج دابق ١٥١٧

وأنا أقول: إننا ما زلنا نعيش ١٩٦٧ والتي استدعت إلى ذهني وإلى تجربتي الفنية تجربة مماثلة أخرى مررنا بها منذ خمسة قرون.. عادة عندما تحدث الهزائم يتجه الكُتّاب إلى فترة انتصار أو إلى الفترات الإيجابية...

يعودون إليها...

نعم، لكنني أقدمت على العكس؛ اتجهت إلى مرحلة أعدت اكتشافها مرة أخرى وهي هزيمة الجيش المصري المملوكي

عام ١٥١٧ في مرج دابق[٦] شمال حلب[٧] واستشهد في هذه الموقعة السلطان الغوري[٨] ولم تعثر على جثة حتى الآن ودخلت مصر في نفق صعب استمرت ثلاثة قرون

---

[٦] **مرج دابق**: هو اسم معركة قامت في ٢٤ أغسطس ١٥١٦ بين العثمانيين والمماليك قرب حلب في سوريا، قاد العثمانيين سليم الأول وقاد المماليك قانصوه الغوري. تمزق جيش المماليك بسبب الخلافات الداخلية.

ساءت العلاقة بين العثمانيين والمماليك، وفشلت محاولات الغوري في عقد الصلح مع السلطان العثماني «سليم الأول» وإبرام المعاهدة للسلام، فاحتكما إلى السيف، والتقى الفريقان عند «مرج دابق» بالقرب من حلب في (٢٥ رجب ٩٢٢ هـ = ٢٤ أغسطس ١٥١٦م).

أبدى المماليك في هذه المعركة ضروبًا من الشجاعة والبسالة، وقاموا بهجوم خاطف زلزل أقدام العثمانيين، وأنزل بهم خسائر فادحة، حتى فكّر سليم الأول في التقهقر، وطلب الأمان، غير أن هذا النجاح في القتال لم يدم طويلًا فسرعان ما دبّ الخلاف بين فرق المماليك المحاربة، وانحاز بعضها إلى الجيش العثماني بقيادة «خاير بك».

سرت إشاعة في جيش المماليك أن الغوري سقط قتيلًا، فخارت عزائمهم ووهنت قواهم، وفرّوا لا يلوون على شيء، وضاع في زحام المعركة وفوضى الهزيمة والفرار نداءُ الغوري وصيحتُه في جنوده بالثبات والصمود وسقط عن فرسه جثة هامدة من هول الهزيمة، وتحقق للعثمانيين النصر الذي كان بداية لأن يستكمل سليم الأول فتوحاته في الشام وأن يستولي على مُدُنه واحدة بعد أخرى، بعدها سلّم معظمها له بالأمان دون قتال.

[٧] **حلب**: مدينة تقع في شمال سوريا وهي أكبر مدينة سورية وعاصمة محافظة حلب أكبر محافظات سوريا من حيث عدد السكان. تتميز حلب بتاريخها العريق في كافة العصور وتشتهر بأوابدها التاريخية الكثيرة مثل قلعتها الشهيرة وأبوابها وأسواقها من أعرق أسواق

عندما نتلمس أسباب الهزيمة القديمة ونرى الظروف التي أدت إليها سوف نجد تشابها رهيبًا بين الظرف التي وصفها المؤرخ المصري محمد أحمد بن إياس وبين الظروف التي كانت موجودة قبل يوليو ٦٧ وقيمة أن ندرس هزيمة قديمة أننا ندرس أيضًا في نفس الوقت النقيض لتلك الهزيمة.. كيف تجاوزناها، لأن بعد حوالي ٢٥٠ سنة ولدت من مصر - التي كانت منهكة متعبة-

---

الشرق وبكنائسها ومساجدها ومدارس العلم وبصناعاتها الشهيرة منذ زمن بعيد، وبما تمتلكه من تراث عريق في كافة المجالات العلمية والفنية والأدبية والثقافية.

(٨) **الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردى الغوري**: هو آخر سلاطين المماليك البرجية. ولد سنة (٨٥٠ هـ- ١٤٤٦ م). ثم امتلكه الأشرف قايتباي وأعتقه وعينه في عدة وظائف في خدمته. وفي دولة الأشرف جنبلاط عُين وزيرًا. ثم نودي به ملكًا على مصر سنة ٩٠٦ هـ- ١٥٠١ م وظل في ملك مصر إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة ١٥١٦.

كان الغوري مغرمًا بالعمارة فازدهرت في عصره، واقتدى به أمراء دولته في إنشاء العمائر، وقد خلّف ثروة فنّية جلها خيرية، بمصر وحلب والشام والأقطار الحجازية. واهتم بتحصين مصر فأنشأ قلعة العقبة وأبراج الإسكندرية. وجدد خان الخليلى فأنشأه من جديد وأصلح قبة الإمام الشافعي وأنشأ منارة للجامع الأزهر. وله مجموعة أثريّة مُهمّة في حلب مكونة أبنية وجامع ومدرسة.

دولةٌ عظمى بقيادة محمد علي باشا[٩]، وهذه الدولة وصلت في مرحلة منها إلى تهديد أوربا وتهديد الخلافة العثمانية[١٠] نفسها. وقف الجيش المصري عند حدود الأستانة[١١] أو عند جبال توسيوس يعني ذلك أن الطاقة والقدرة كامنة في هذا الوطن وأنها كانت باستمرار هدفًا للغرب وهدفًا للقوى الاستعمارية التي تعمل باستمرار ألا تقوم دولة قوية أو كيان قوي في هذا في هذا الوطن.

استغرقني البحث في العصر المملوكي وكان نتيجة هذا البحث رواية الزيني بركات الشهيرة، وأتيحت لي فرصة مشاهدة

---

[٩] **محمد علي باشا:** (٤ مارس ١٧٦٩ – ٢ أغسطس ١٨٤٩)، باني مصر الحديثة وحاكمها ما بين ١٨٠٥ – ١٨٤٨. بداية حكمه كانت مرحلة حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر حيث نقلها من عصور التردّي إلى أن أصبحت دولة قوية يعتد بها.

[١٠] **الدولة العثمانية:** وفق علماء سنة الخلافة العثمانية، كانت إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول، حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى وجنوب شرق أوروبا، غربي آسيا وشمالي أفريقيا.

المقر: ياني شهير: ١٢٨٠-١٣٦٦، إدرنة (إدرين): ١٣٦٦-١٤٥٣، إسطنبول: منذ ١٤٥٣.

[١١] الأستانة: هي أكبر المدن في تركيا وخامس أكبر مدينة في العالم وفقًا لعدد السكان، حيث يسكنها ١٢,٨ ملايين نسمة. تُعد أيضًا «مدينةً كبرى»، ويُنظر إليها على أنها مركز تركيا الثقافي والاقتصادي والمالي.

مصر وهي تتجاوز الهزيمة، في الواقع في ٦٧ كانت تردد جملة «لقد خسرنا الحرب ولكننا لم نخسر المعركة»

لا.. العكس؛ لقد خسرنا المعركة ولكننا لم نخسر الحرب.

نعم، هكذا بالضبط.

أعتقد أن هذه الجملة كانت دقيقة جدًا؛ لأن المؤسسة العسكرية أو القوات المسلّحة المصرية في الحقيقة لم تأخذ الفرصة للقتال ولم تتح لها فرصة الاشتباك.

نعم.

دفع بها نتيجة قرار سياسي، سوف تكشف لنا الأيام عما وراءه، فآخر ما قرأته مثلًا من وثائق يثبت أنه لم تكن هناك حشود على سوريا في ذلك الوقت.

وأن بعض المنظّمات الفلسطينية حسب ما ورد في كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل[١٢] كانت تدعو إلى ما تسميه توريط مصر في الحرب، التوريط لماذا؟ وبأي هدف؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن يكشف عنه التاريخ.

وكانت النتيجة أننا دُفعنا لحشد قواتنا بالشكل الذي تم به هكذا.. عندما أستعيد تلك الأيام وأستعيد حجم الحماس المتدفّق الذي كان سابقًا على يونيو ٦٧ أجد نفسي أنني ما زلت أعيش في هذه الأيام القاتلة، التي زلزلت كياننا النفسي، لكن تأثير تلك الهزيمة علينا كان مختلفًا عن الأجيال الأخرى التي سبقتنا، بمعنى: أنه كان لدينا إحساس أننا لسنا مشاركين في الأسباب التي أدت إلى تلك الهزيمة ولسنا مسؤولون عنها ولم نتحمل وزرها.. هناك كُتّاب كبار كنا نقرأ لهم في الستينات كانوا يبررون ما يجري... كانوا

---

(١٢) **محمد حسنين هيكل**: أبرز الصحفيين العرب والمصريين في القرن العشرين. وربما يكون من الصحفيين العرب القلائل الذين شهدوا وشاركوا في صياغة السياسة العربية، خصوصًا في مصر.

دعـاة لمـا يجـري... سـاهموا بـشكل أو بـآخر في الوصـول إلى تلـك الهزيمـة.. وأنـا سـميتهم في إحـدى قصـصي «المـبررون العظـام»، وهـؤلاء موجـودون في كـل عـصر.. الـذين يُقْـدِمون عـلى تبريـر أي شيء.. فكانت تطـرح مـثلا قـضية«هـل هـي اشـتراكية عربيـة؟.. أم تطبيـق عـربي للاشـتراكية؟» ونقاشـات واسـعة في ذلـك، بعـضها فكري وبعضها صحفي وبعضها....

جدل.. جدل

نعم.

أنا أذكر أنه عقدت جلسات كثيرة لتعريـف «مـن هـو العامـل ومـن هـو الفـلاح» وجلـسوا لهـذا أشـهرًا عـدة، ليـصلوا إلى تعريف العامل والفلاح... وفي النهايـة انتهـوا إلى تعريـف لا يمكـن أن يكون علميًا بأي شكل من الأشكال.

استغرقتنا مثـل هـذه القـضايا.. ولـذلك مـا كنـا شركـاء فيها..

أأعتبر ذلك رفضًا لأن تكونوا جيل الهزيمة؟

بالتأكيد، نحن الجيل الذي تجاوز الهزيمة، بمعنى أنني عندما أقول الآن: جيل الستينيات.. فأنا لا أقصد عشرة كُتّاب؛ كتَّاب كانوا يكتبون الرواية أو القصة، أو سبعة أو ثمانية أو من بقي منهم حتى الآن.. أنا أعني الجيل المواكب لسني، الذي دخل بعض أفراده معسكرات التجنيد قبل يونيو ٦٧ وأمضوا في القوت المسلحة ما بين تسع سنوات وعشر سنوات.. يكفي أن هذا الشباب المواكب لسني بالضبط ومن نفس الجيل.. هو الذي مكث في الخنادق من ٦٧ إلى ٧٣.. وبدأت تخرج أول دفعة من القوات المسلحة في ٧٤.. هذا جو الجيل الذي تحمّل وعانى وعبر.. وتحمل ما تحمل؛ تحمل السنوات التي دفعها في الخنادق، الدم الذي بُذل.

حرب الاستنزاف

حرب الاستنزاف[١٣]

حرب الاستنزاف.. كنت شاهدًا عليها وكان ذهابي إلى الجبهة نوعًا من إعادة التوازن النفسي والداخلي إلى شخصي، بمشاركة في خط ساخن في المواقع الأمنية، والحقيقة أن الرد الإيجابي على الهزيمة حدث في معركة رأس العش[١٤] في نفس يونيو ٦/٣٠ .

---

[١٣] **حرب الاستنزاف**: حرب الألف يوم كما أطلق عليها بعض الإسرائيليين. والاستنزاف هو مصطلح أطلقه الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر على الحرب التي اندلعت بين مصر وإسرائيل على ضفتي قناة السويس. بدأت أحداثها عندما تقدمت المدرعات الإسرائيلية صوب مدينة بور فؤاد بهدف احتلالها يوم ١ يوليو ١٩٦٧، فتصدت لها قوة من الصاعقة المصرية بنجاح فيما عرف بمعركة رأس العش، ثم تصاعدت العمليات العسكرية خلال الأشهر التالية خاصة بعد مساندة العرب لدول المواجهة أثناء مؤتمر القمّة العربية في الخرطوم، ورفض إسرائيل لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ الداعي لانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلها عقب انتصارها الخاطف على العرب خلال حرب يونيو.

[١٤] **معركة رأس العش**: هي إحدى معارك حرب الاستنزاف، دارت أحداثها يوم ١ يوليو ١٩٦٧ بالقرب من ضاحية بور فؤاد، عندما حاولت المدرعات الإسرائيلية احتلالها، لكن قوة من الصاعقة المصرية نجحت في صد الاعتداء الاسرائيلي. كانت الحادثة بمثابة الشرارة التي أدت لاندلاع الحرب على ضفتي قناة السويس لنحو ثلاث سنوات.

عندما تصدت قوة المشاة المصرية لقوة مدرعة إسرائيلية كانت تتقدم لاحتلال الجزء المتبقي من سيناء في الشمال، وهو بور فؤاد[١٥]، واستطاعت أن توقف هذه القوة المدرعة وأن تلحق بها خسارة جزيمة، وظل بور فؤاد حتى الكيلو ١٠ شمال سيناء مرفوعًا عليه العلم المصري كرمز أن هنا منطقة في سيناء لم تستطع إسرائيل أن تستولي عليها، وهذا ليس كلامًا حماسيًا، لقد عشناه بالفعل، ورأيت الجنود والضباط في المواقع الأمامية، ورأيت كيفية بناء القوات المسلحة خطوة.. خطوة، هذا العبور الذي تم في ٦ أكتوبر لم يأت من فراغ بل جاء نتيجة دعم وعلم وتخطيط وحشد مباشر قوامه مليون رجل في سن الشباب ممن هم من جيلي.إذن نحن كجيل ما كنا مسئولين عن هذه الهزيمة، بل ساعدنا في تجاوزها، ما إن تحقق النصر في أكتوبر ١٩٧٣ إلا وبدأت التحولات الاجتماعية الكبرى،

---

(١٥) **مدينة بورفؤاد:** مدينة مصرية تتبع محافظة بورسعيد، تقع على ساحل البحر المتوسّط في الركن الشمالي الغربي لشبه جزيرة سيناء. يحدّها شرقًا محافظة شمال سيناء وجنوبًا محافظة الإسماعيلية. مساحتها ٥١١,٨٧٥ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها حوالي ٦٧,٤٦٤ نسمة.

التي سميت بالانفتاح الاقتصادي، وما نتج عنها من تأثيرات اجتماعية - في تقديري أنا أنها سلبية- أدت إلى ما أدت إليه من صعوبات اجتماعية دفع جيلي أيضًا الثمن في مواجهتها.

تلك هي التجربة الثانية والصعبة وفي الفترة ما بين ١٩٧٤إلى ١٩٨١ أنا أعتقد أنها أصعب الفترات في تاريخ مصر؛ لأنها كانت فترة تحوّل وفترة قلب المعاني أو قلب القيم التي نشأنا عليها

فالذي نشأنا عليه.. كان حلم الوالد أو الوالدة أو أي أسرة أن يتعلم الابن حتى يأخذ «الشهادة الكبيرة» الشهادة الكبيرة كانت بعتني الدكتوراه التي نرتدي بها الدارس روب

الروب الجامعي..

الروب الجامعي.. أو يأخذ الشهادة الجامعية، كان العلم هو القيمة السائدة في المجتمع.. ويقيم الإنسان بما لديه من علم وثقافة.. وبالتالي، كان يمكن لذلك أن يضعه في صفوة

المجتمع وقد رأينا مثقفين كبار كعباس العقاد[١٦] مثلًا أو مصطفى صادق الرافعي[١٧] علّموا أنفسهم بأنفسهم ووصلوا إلى الذروه.

---

[١٦] **عباس محمود العقاد (١٨٨٩–١٩٦٤)**: أديب ومفكّر وصحفي وشاعر مصري. ولد العقاد في أسوان في ٢٩ شوال ١٣٠٦ هـ – ٢٨ يونيو ١٨٨٩، لأم من أصول كردية. ومن ذرية الصحابي خالد بن الوليد الذين سكنو كردستان العراق. وجدّه لأمه هو محمد أغا الشريف ويعزى نسبه إلى النبي محمد **ص** في بعض المراجع بينما يعزوه أحد المراجع إلى العباس بن عبد المطلب. وتخرّج من المدرسة الإبتدائية سنة ١٩٠٣.
أسس بالتعاون مع إبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري «مدرسة الديوان»، وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر والخروج به عن القالب التقليدي العتيق. عمل العقاد بمصنع للحرير في مدينة دمياط، وعمل بالسكك الحديدية لأنه لم ينل من التعليم حظًّا وافرًا حيث حصل على الشهادة الابتدائية فقط، لكنه في الوقت نفسه كان مولعًا بالقراءة في مختلف المجالات، وقد أنفق معظم نقوده على شراء الكتب، والتحق بعمل كتابي بمحافظة قنا، ثم نقل إلى محافظة الشرقية. تُرجمت بعض كتبه إلى اللغات الأخرى، فتُرجم كتابه المعروف «الله» إلى الفارسية، ونُقلت عبقرية محمد وعبقرية الإمام علي، وأبو الشهداء إلى الفارسية، والأردية، والملاوية، كما تُرجمت بعض كتبه إلى الألمانية والفرنسية والروسية. وأطلقت كلية اللغة العربية بالأزهر اسم العقاد على إحدى قاعات محاضراتها، وسُمي باسمه أحد أشهر شوارع القاهرة وهو شارع عباس العقاد الذي يقع في مدينة نصر.
[١٧] **مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨ هـ– ١٣٥٦ هـ الموافق ١ يناير ١٨٨٠ – ١٤ مايو ١٩٣٧ م)**: ولد في بيت جدّه لأمّه في قرية «بهتيم» بمحافظة القليوبية، وعاش حياته في طنطا وبذلك يكون الرافعي قد عاش سبعة وخمسين عامًا، كانت كلها ألوانًا متعددة من الكفاح المتواصل في الحياة والأدب والوطنية.
اسمه كما هو معروف لنا مصطفى صادق الرافعي، وأصله من مدينة طرابلس في لبنان وما زالت أسرة الرافعي موجودة فيها حتى الآن، أمّا الفرع الذي جاء إلى مصر من أسرة الرافعي

بدون شهادة جامعية أو بدون دكتوراه أو أي شيء.

لكن المجتمع وضعهم في حدقات العيون..

في الذروة..

في الذروة.. الوضع الذي نشأ في السبعينيات أصبح الإنسان يقيم بما لديه من مال وليس مهمًا كيف أتى بهذا المال.. إنت معاك دكتوراه وهتعمل بيها إيه؟ مثلا، كاتب روائي وعنده ٤٠ رواية أو ٣٠ رواية أو كتاب ما الذي يساويه ذلك

ممم

رأينا أسماءً تأتي من المجهول

وهم نجوم المجتمع

وأصبحوا نجوم المجتمع والأخطر أنهم هم الذين يُشكّلون قيم المجتمع

فإن الذي أسسه هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي، الذي وفد إلى مصر سنة ١٨٢٧، ليتولى قضاء المذهب الحنفي أي مذهب أبي حنيفة النعمان بأمر من السلطان العثماني حيث كانت مصر حتى ذلك الحين ولاية عثمانية.

نعم

مـن الـذي يـستطيع أن يـذهب إلى مـسرحية تـذكرتها بـمائتي جنيه؟! هذا عكس الوضع الـذي كـان موجـودًا مـن قبـل.. عندما كانـت هنـاك حركـة مـسرحية متجهـة إلى الجمهـور العـريض الواسـع، أنـا أذكـر أننـي دخلـت المـسرح القـومي لأول مـرة في الستينيات بـخمسة عشر قرشًا، الصف الأول والأوبرا في حفـلات الجمعة في الصباح، فبدأ نوع من الحنين إلى الفـترة التـي كنـا ضـدها وسجنا في خلالها .. ليس حبًا فيها، لكن...

رفضًا للواقع الذي جاء في الـ..في السبعينات..

يمكن القول أن هذا هو أصعب ما واجهه جيلي، والآن هذا الجيل لشدة ما عاناه يشرف على الغياب.. يكـاد يغيـب كـدور، على الرغم أنه الأحق الآن لأن يتسلّم قيادة الحياة الفكرية والثقافية

الحركة الثقافية.

والحركة الاجتماعية..

أعلم أنه بالفعل في بعض المواقع يتسلمها، لكن في القيم الجديدة لا تمت إليه بصلة.. ولذلك الشعور بالغربة عند الكثير منّا ما زال قائمًا.

وكأن المجتمع أصبح يتكلم لغة لا يجيدونها

تلك هي أهم الملامح التي يمكن أن تَرد إلى ذهني الآن وأنا أتأمل ما مضى.

الحقيقة أنني لست مندهشًا من هذا الزخم الذي بدأت به شهادتك.. وأعتقد أننا في منطلقات ونقاط ارتكاز عديدة في تلك المقدمة في صدر الشهادة سنعود لها كما عدت في التاريخ المصري مرارًا وتكرارًا إلى لحظات الانتصار.. وسوف نعود في مرّات كثيرة إلى المقدمة الثريّة التي بدأت بها، فالأخذ بتلابيب شهادة الكاتب الكبير جمال الغيطاني أمر في غاية الأهمية؛ لأنها شهادة ثرية حقًا..فمناخها ثري والجيل الذي خرج فيه الكاتب الكبير جمال الغيطاني أيضًا جيل له علاماته وله تصنيفه ودوره المتميز.

فأريد أن أبدأ من البداية؛ من عصاميتك التي تركز عليها دائمًا في ندواتك وتؤكّد على أنك خرجت من صفوف الشعب عصاميًا لا تملك شيئًا واستطعت تكوين ما وصلت إليه بعَرَقِك وجِدِّك واجتهادك وموهبتك بالطبع، فبداية.. على الرغم من أنك لا تحمل أكثر من دبلوم المدارس الصناعية كيف أصبحت من أكبر أو من أشهر كُتّاب مصر والعالم العربي والرواية العربية؟!

ولدت في ٩ مايو ١٩٤٥، وبالمناسبة كان هذا اليوم هو الذي انتهت فيه الحرب العالمية الثانية.

إذن، ولدت كبشير سلام.

نعم، أتيت مع السلام، في جهينة.. ولكن الوالد كان يعمل في القاهرة.. وكان ساعيًّا في وزارة الزراعة وكانت الوالدة تنجبنا في البلد وتلقى عناية لمدة شهور، ثم تعود مرة أخرى إلى القاهرة.. نشأت في الجمّالية. فأنا صعيدي المولد قاهري النشأة.

أذكر في عام ١٩٦٠ كنت أجلس أمام الكاتب الكبير وأبي الروحي الأستاذ نجيب محفوظ[١٨] في الأوبرا، فوصلت مبكّرًا ذات يوم وكان وحده فانفردت به، فجأة سألني وقال: «يا جمال إنت بتكتب ليه؟»، فلم أستطع أن أجيب وشعرت أنه هو يسأل نفسه هذا السؤال عندما أستعيد الآن إيقاع السؤال كان يسأل نفسه أكثر مما يسألني أي أنني لا أعرف لماذا أصبحت كاتبًا.

عبد الناصر والاعتقالات

أستاذ جمال الغيطاني، أريد أن أصل مع سيادتك في تلك الشهادة لمنعطفٍ مُدهشٍ وسط هذا السياق الذي تسرده بروح الحكي الجميلة، التي جذبتنا إلى حديثك منذ بداية الشهادة إلى الآن

---

(١٨) **نجيب محفوظ**: روائي مصري حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وتوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى ٢٠٠٤. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها سمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم. من أشهر أعماله الثلاثية وأولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقتٍ قريب. بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدبًا واقعيًا، فإن مواضيع وجودية تظهر فيه. نجيب محفوظ أكثر أديبٍ عربي حُوّلت أعماله إلى السينما والتلفزيون.

وهي اعتقالك في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر[١٩]... كيف كانت هذه الواقعة وما شاهدتك عليها؟

أنا مع الفقراء باستمرار وأنحاز إلى الفئات المقهورة أو الفقيرة من الشعب. عرفت الفكر الاشتراكي وكان في الستينات مناخ متناقض إلى حدٍ كبير؛ فكانت توجد نهضة ثقافية، وفي نفس الوقت كان يوجد قمع للمثقفين، هذه النقطة يجب أن تدرس بدون أي حساسيات.. فالرئيس جمال عبد الناصر رَحِمَهُ اللهُ كان يرفض فكرة انتماء المثقفين إلى جماعات أو إلى اتجاه مخالف.

---

[١٩] **جمال عبد الناصر (١٥ يناير ١٩١٨ – ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠)**: هو ثاني رؤساء مصر. تولّى السلطة من سنة ١٩٥٤ بعد أن عزل الرئيس محمد نجيب وحتى وفاته سنة ١٩٧٠. وهو أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، ومن أهم نتائج الثورة هي خلع الملك فاروق عن الحكم، وبدء عهد جديد من التمدن في مصر والاهتمام بالقوميّة العربية والتي تضمّنت فترة قصيرة من الوحدة بين مصر وسوريا، ما بين سنتي ١٩٥٨ و ١٩٦١، والتي عُرفت باسم الجمهورية العربية المتحدة. كما أن عبد الناصر شجّع عددًا من الثورات في أقطار الوطن العربي وعددًا من الدول الأخرى في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد كان لعبد الناصر دورٌ قياديٌّ وأساسيٌّ في تأسيس منظّمة التحرير الفلسطينية في سنة ١٩٦٤ وحركة عدم الانحياز الدولية.

وأنا أعتقد أنه لم يكن يحب المثقفين .. كان يجد فيهم أهل الكلام.وقد خسرت لهذا السبب خسارة كبرى كل هذا أدى إلى ٦٧ ، فالمناخ الذي تكّونا فيه كان الكّتاب يُطبع بقروش قليلة وكانت توجد مدرستان؛ مدرسة الكَيْف، التي كان يمثلها الدكتور ثروت عكاشة[٢٠] ومدرسة الكَمّ، التي كان يُمثّلها الدكتور عبد

---

[٢٠] **ثروت عكاشة:** كان وزيرًا للثقافة ونائب رئيس الوزراء المصري سابقًا.
ولد في ١٨ فبراير ١٩٢١ بالقاهرة. متزوج وله ابن وبنت. حصل على بكالوريوس علوم عسكرية من الكلية الحربية ١٩٣٩، كلية أركان حرب ١٩٤٨، ماجستير في الصحافة من كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥١، دكتوراة في الأدب من جامعة السوربون ١٩٦٠. عمل ضابطًا بالقوات المسلّحة ١٩٥٦، ملحقًا عسكريًّا بباريس ١٩٥٣-١٩٥٦، سفيرًا بروما ١٩٥٧-١٩٥٨، وزير الثقافة ١٩٥٨-١٩٦٢، رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي المصري ١٩٦٢-١٩٦٦، نائب رئيس الوزراء، وزير الثقافة ١٩٦٦-١٩٧٠، مساعد رئيس الجمهورية للشئون الثقافية ١٩٧٠-١٩٧٢، أستاذ زائر بكوليج دي فرانس بباريس ١٩٧٣، زميلًا مراسلًا بالأكاديمية البريطانية ١٩٧٥. له نشاط دولي؛ فهو عضو المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو ١٩٦٢-١٩٧٠، رئيس جمعية الصداقة المصرية الفرنسية ١٩٦٥، نائب رئيس اللجنة الدولية لانقاذ مدينة البندقية ١٩٧٩-١٩٧٩، وفي المجال المحلي: رئيس تحرير مجلة التحرير ١٩٥٣-١٩٥٢، رئيس المجلس الأعلى للفنون والأداب ١٩٦٢، و١٩٦٦-١٩٦٤. له جهود وطنية بارزة فقد شارك في حرب فلسطين ١٩٤٨، وفي القيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ساهم في العديد من المشروعات الحضارية والثقافية منها: إنقاذ آثار النوبة ومعبدي أبو سمبل ، وإنشاء أكاديمية الفنون التي تضم معاهد الكونسرفتوار والبالية والفنون المسرحية والسينما والنقد الفني، إنشاء دار الكتب والوثائق القومية الجديدة، إنشاء فرقة

القادر حاتم، وكلاهما أفادا؛ فكان يُطبع كتابٌ كل ست ساعات.. عشر كتب من الممكن أن تجد فيهم كتابين لهم قيمة .. وهكذا، لكن في نفس الوقت كانت تجري مطاردة المثقفين وكانت زهرة المثقفين الكبار الذين سبقونا في المعتقل منذ عام ١٩٥٩.

لويس عوض(٢١) وصلاح حافظ(٢٢)...

الموسيقى العربية، والفرقة القومية للفنون الشعبية، إنشاء مشروعات الصوت والضوء في الهرم والقلعة والكرنك.

(٢١) لويس عوض: (١٩١٥ – ١٩٩٠) مُفكّر ومؤلّف مصريٌّ وُلد في المنيا عام ١٩١٥. نال ليسانس الآداب، قسم الإنجليزية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٣٧. وحصل على ماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كامردج سنة ١٩٤٣ ودكتوراة في الأدب من جامعة بريستن عام ١٩٥٣ وعندما حصل على هذه الشهادات عمل مدرسًا مساعدًا للأدب الإنجليزي ثم مدرسا ثم أستاذا مساعدا في قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٤٠ - ١٩٥٤م) ثم رئيس قسم اللغة الإنجليزية، عام ١٩٥٤م وقام بالأشراف على القسم الأدبي بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣م.

(٢٢) صلاح الدين حافظ (١٩٣٨ - ١٦ نوفمبر ٢٠٠٨): كاتب مصري شغل منصب **الأمين العام لاتحاد الصحافيين العرب**. ولد بقرية العقلية مركز العدوة بمحافظة المنيا بمصر عام ١٩٣٨، درس بكلية الآداب بجامعة القاهرة وتخرّج من قسم الصحافة بها عام ١٩٦٠. شغل موقع الأمين العام لاتحاد الصحافيين العرب في العام ١٩٧٦ لمدة عام واحد، ثم تولّي نفس الموقع بعد عودة الاتحاد من بغداد إلي القاهرة في العام ١٩٩٦ وحتي وفاته.

تميزت كتابات صلاح الدين حافظ بالوطنية والاستقلالية حيث ظل حتي وفاته مدافعًا عن المهمَّشين وعن الحريات العامة والعدالة الاجتماعية وكانت مقالته كل أربعاء بالأهرام والتي

لويس عوض وصلاح حافظ ومحمود أمين العالم[٢٣]، لا يوجد مثقفٌ مصريٌّ في هذه الفترة إلا وعرف الاعتقال أو المطاردة أو على الأقل السجن، فما بالك بالتعذيب والضرب فمثلًا، هل

تنشر بالتزامن في خمس صحف عربية مليئة بالرؤي البعيدة والتحليلات العميقة وقد منعت الأهرام بعض مقالاته لنبرتة العالية في نقد السلطة السياسية المصرية وكان آخر ما كتب مقاله «نحن وأوباما.. هل سيُغير أم سنتغير؟»

عانى في أيامه الأخيرة من مرض السرطان إلي أن توفي مساء الأحد ١٦ نوفمبر ٢٠٠٨ عن عمر يُناهز السبعين عامًا وشُيِّعت جنازته من مسجد الحصري بمحافظة ٦ أكتوبر ظهر الإثنين ١٧ نوفمبر.

[٢٣] محمود أمين العالم (١٨ فبراير ١٩٢٢ - ١٠ يناير ٢٠٠٩) مفكر يساري وأحد أقطاب حركة اليسار في مصر.

ولد في حي الدرب الأحمر في القاهرة، وبدأ دراسته الأولى في كتّاب الشيخ السعدني في مدخل حارة السكري، ثم في مدرسة الرضوانية الأولية في حي القرية، ثم في مدرسة النحّاسين الابتدائية بحي الجمالية، ثم في مدرسة الإسماعيلية الثانوية الأهلية بحي السيدة زينب، ثم مدرسة الحلمية الثانوية بالقرب من حي القلعة.

انتسب في شبابه للحزب الشيوعي المصري. درس الفلسفة في جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا)، حيث عمل بعد تخرّجه في الجامعة حاصلًا منها على درجتي الماجستير والدكتوراة. كما عمل في مجلة روز اليوسف.

له العديد من المؤلفات، واشترك في عدة هيئات، شغل عدة وظائف منها: مدرس مساعد بقسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة القاهرة، رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للكتاب، رئيس مجلس إدارة مؤسسة المسرح والموسيقى والفنون الشعبية.

يتصور أحدٌ أن محمود العالم أو لويس عوض يضرب ويجلد في السجون.

أتذكر المرحوم الكاتب الكبير صلاح حافظ في شهادته على العصر قال: «هل يتصور أحد أن الدكتور لويس عوض وقد حمل ربع المقطم على كتفيه؟».

اشتغل بقطع الحجارة، و أذكر أنني قابلت مناضلًا في المعتقل جاء من الشعب، ليس مثقفًا اسمه (عم منصور ذكي)، لا أعرف أين هو الآن كان أمضى في السجون من حياته أربعة عشر عامًا، كان يُساعد دكتور لويس عوض، كان ذلك إذلالًا للمثقفين، بصارحة.. أنا لا أغتفره لثورة يوليو وظلت العلاقة بالمثقفين تمثّل مشكلة حتى في السبعينيات.

إذن، جاء اعتقالك أستاذ جمال الغيطاني كنسق طبيعي متناسق مع ما كان يجري.

كي تكون الشهادة صريحة ومكتملة، كما ذكرت كان الهمّ العام همًّا خاصًّا بالنسبة إلينا، فاشتغلنا بالسياسة وبهذا الهمّ،

وأدى ذلـك إلى مطـاردةٍ ثـم الاعتقـال في أكتـوبر ١٩٦٦، فوجئـت بـاعتقال الأستاذ صـلاح عيسى[٢٤]، وكنـت أتوقّـع الاعتقـال في أي فترة في ذلك الوقت.

كانت التنظيمات اليسارية في مصر قد أعلنت حلّ نفسها؛ مشاركة منها في البناء الاشتراكي

هذه نيّة طيبة مُعلنة، بأن هذه التنظيمات مع النظام.

بعد خروج اليساريين من المعتقل عام في ١٩٦٤ أُعلن عن حلّ التنظيمات الكُبرى، لكن بعض المثقفين ممن كانوا لهم رأي

---

(٢٤) **صلاح عيسى**: كاتب وصحفي ومؤرّخ، ولد في ٤ اكتوبر عام ١٩٣٩ في قرية «بشلا» بمحافظة الدقهلية حصل على بكالوريوس في الخدمة الاجتماعية عام ١٩٦١ ورأَسَ لمدة خمس سنوات عددًا من الوحدات الاجتماعية بالريف المصرى. بدأ حياته كاتبًا للقصة القصيرة ثم اتجه عام ١٩٦٢ للكتابة في التاريخ والفكر السياسي والاجتماعي تفرغ للعمل بالصحافة منذ عام ١٩٧٢ في جريدة الجمهورية أسس وشارك في تأسيس وإدارة تحرير عدد من الصحف والمجلات منها الكتاب والثقافة الوطنية واليسار والصحفيون ويرأس الآن تحرير جريدة القاهرة واعتقل لأول مرة بسبب آرائه السياسية عام ١٩٦٦، وتكرر اعتقاله أو القبض عليه أو التحقيق معه أو محاكمته في سنوات ١٩٦٨ و ١٩٧٢ و ١٩٧٥ و١٩٧٧و١٩٧٩و١٩٨١، أصدر أول كتبه الثورة العرابية عام ١٩٧٩ وصدر له ٢٠ كتابًا في التاريخ والفكر السياسي والاجتماعي والأدب منها تباريج جريج ومثقفون وعسكر ودستور في صندوق القمامة.

آخر كانوا ضد هذا الحل، وكان رأيهم أن هذا نوع من خيانة الطبقة العاملة وخيانة القضية... إلخ، وفي رأيي أن هذا الموقف هو الصحيح؛ لأن شرط النظام في ذلك الوقت هو الحلّ وتزويب هذه الاتجاهات في اتجاه واحد.

أما بالنسبة لنا، كنا مجموعة من المثقفين وكان أقصى ما يمكن أن نفعله هو أن نتكلم.. فاتُّهمنا بالانتماء إلى التنظيم، على الرغم من أننا وقت اعتقالنا ما كنّا فعلًا ننتمي إلى ذلك التنظيم.

فعندما اعتقلنا في أكتوبر ٦٦ كان منا الأبنودي(٢٥) وصلاح عيسى وسيد حجاب(٢٦) ويحيى الطاهر عبدالله(٢٧) وصبري

---

(٢٥) **عبد الرحمن الأبنودي**: شاعر مصري يُعدّ من أشهر شعراء العامية في مصر. ولد عام ١٩٣٨م في قرية أبنود بمحافظة قنا في صعيد مصر، لأب كان يعمل مأذونًا شرعيًا، وانتقل إلى مدينة قنا حيث استمع إلى أغاني السيرة الهلالية التي تأثّر بها. الشاعر عبد الرحمن الأبنودي متزوّج من المذيعة المصريّة نهال كمال، وله منها ابنتان آية ونور.

من أشهر أعماله السيرة الهلالية التي جمعها من شعراء الصعيد ولم يؤلّفها. ومن أشهر كتبه كتاب (أيامي الحلوة) والذي نشره في حلقات منفصلة في ملحق أيامنا الحلوة بجريدة الأهرام تم جمعها في هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة، وفيه يحكي الأبنودي قصصًا وأحداثًا مختلفة من حياته في صعيد مصر.

حافظ[٢٨].. ألمع الكتاب الذين أصبحوا يمثلون الثقافة المصرية بعد ذلك، ثمّ اعتقل كل منا من بيته، وكان اعتقال غشيم وقاسي ومقيت ولا مبرر له على الإطلاق، فأنا مثلًا اقتحم بيتي في درب

---

[٢٦] **سيد حجاب**: هو شاعر مصري ولد بمدينة المطرية، بمحافظة الدقهلية. عرف سيد حجاب بكتابة أشعاره باللهجة العامّيّة المصريّة للكثير من الأعمال الدراميّة والتليفزيونية المصرية، اشتهر سيد حجاب بلقب سيد شعراء العامّيّة في الوطن العربي. تعتبر أكثر أعمال سيد حجاب من ألحان الموسيقار عمار الشريعي والموسيقار ياسر عبد الرحمن.

[٢٧] **عبد الفتاح يحيى الطاهر محمد عبد الله**: أعتبره الكثيرون شاعر القصة القصيرة ويعد من أبرز أدباء الستينات. ولد في ٣٠ أبريل عام ١٩٣٨ بقرية الكرنك مركز الأقصر بمصر ، توفيت والدته وهو في سن صغيرة فربّته خالته والتي أصبحت زوجة أبيه فيما بعد ، وليحيى ثمانية أخوة وأخوات، ترتيبه الثاني بينهم، وكان والده شيخًا مُعممًا يقوم بالتدريس في إحدى المدارس الابتدائية بالقرية، وكان لوالده تأثير كبير عليه في حب اللغة العربية بالإضافة إلى أنه كان مهتمًا بكتابات العقاد والمازني.

تلقّى تعليمه بالكرنك حتى حصل على دبلوم الزراعة المتوسطة ثم عمل بوزارة الزراعة لفترة قصيرة، في عام ١٩٥٩ انتقل يحيى إلى قنا مسقط رأسي الشاعران الكبيران عبد الرحمن الأبنودي وأمل دنقل حيث ألتقى بهما وقامت بينهم صداقة طويلة.

[٢٨] **صبري حافظ**: هو أستاذ اللغة العربية المعاصرة والأدب المقارن في جامعة لندن، كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، ورئيس تحرير مجلة الكلمة الإلكترونية. حاصل على بكالوريوس علم الاجتماع بامتياز مع مرتبة الشرف، جامعة القاهرة، ١٩٦٢، ماجستير في النقد والأدب الدرامي، دراما تشيخوف: دراسة نقدية لمسرحياته، أكاديمية الفنون، القاهرة، مصر، ١٩٧٠، دكتوراة في الأدب العربي الحديث:نشأة وتطور القصة القصيرة المصرية (١٨٨١-١٩٧٠)، كلية الدراسات الشرقية والأفريقية، جامعة لندن، ١٩٧٩.

الطبلاوي[٢٩] الفجر ضابطٌ برتبة عقيد ومعه ثلاثة من المخبرين وفتشوا البيت تفتيشًا غريبًا جدًّا، لدرجة أنه لا توجد عندي صورة من صوري قبل عام ١٩٦٦.

جرت مصادرة واستُولي على كل الصور الخاصة بي والخاصة بأخواتي و بالأسرة وأيضًا الورق الأبيض.. وكان ذلك بالنسبة لي مشكلة كبرى..

عقدة الورق الأبيض

لماذا الورق الأبيض خاصة؟!

لأنني عندما بدأت الكتابة كنت أعاني من توفير الورق الأبيض، فكانت أمي -رحمها الله- تعطيني من مصروف الأكل الخاص بالبيت وأشتريه.. فكنت أفضّل أن يكون عندي كميات احتياطيّة منه؛ لأحقِّق ما أسمّيه الأمن الورقي.

---

(٢٩) **درب الطبلاوي**: هو درب قديم أشبه بالأحياء الشعبية كان يسكنه الغيطاني في بداية مجيئه القاهرة.

فأذكر أنه أخذ الست لفّات الموجودة عندي فقلت له: إنها لفات ورق للكتابة..

ورق أبيض فارغ.

نعم، فقال لي: لا، (ممكن المنشورات تكون جوّه)، فقلت له: هذا لا يصلح للمنشورات فرد وقال: (وكمان عارف).

فكان موضوع الورق الذي تم الاستيلاء عليه من الموضوعات التي أحزنتني جدًّا وخاصة وأنا في الحبس الانفرادي.

عندما اعتُقِلنا دُفِع بنا إلى سجن مزرعة طرة[٣٠]، ثم خرجنا، ثم أُرسِل بنا إلى التحقيق في المعتقل في القلعة وعانينا الكثير.. لا أريد أن أفيض ولكن ..

---

[٣٠] **طرة:** حي تاريخي من أحياء المعادي، ينقسم إلي ٣ مناطق؛ طرة البلد وكوتسيكا وطرة الأسمنت، من أشهر معالمها سجن طرة ومسجد عبدالمنعم رياض الذي تأسس في عام ١٩٦٩ ومدينة الأخاء، وطرة الأسمنت التي يوجد بها مصنع اسمنت بورتلاند طرة. كما اذهرت الخدمات بالمنطقة مؤخرًا ففتح بعض البنوك بها مثل PNP بطريق الأوتوستراد بكوتسيكا كما أنشئ أحد أفرع تدريب بشركة للتدريب وهي باينري سيستمز والذي أثرى الحياة الثقافية بالمنطقة ومن حولها وقدّم العديد من المنح لأبناء المنطقة. يوجد بها سجن هو من أشهر السجون المصرية، الذي اشتهر بسجن المتمردين بكافة أنواعهم

كفاك من عبء هذه الفترة الشاعر عبد الرحمن الأبنودي؛ ففي شهادته على العصر حكى هذه الفترة وحكى ظروف المعتقل أيضًا ومعاناتكم فيه.

أعتقد أنها ظروف لا يمكن أن تُبرَّر، ولا أفهم كيف كانت الدعايا في ذلك الوقت تركّز على بناء الاشتراكية في الخارج، وزهرة وطن من المثقّفين تُجلَد وتُصعَق بالكهرباء وتُغمَر رؤوسُهم في المياه، هذا درس لأي نظام يأتي لمصر في المستقبل.. لأنه رغم انحيازي بعد ذلك إلى العدالة الاجتماعية التي كانت متوفّرة في تلك الفترة لكنني لا أغفر ما حدث، وهنا لابد أن أوضح نقطة.. البعض يتساءل لماذا تدافعون عن تلك الحقبة رغم أنكم جُلدتم وعُذِّبتم؟!... هنا أقول: إن المسألة ليست مسألة شخصية

فالآن عندما أدافع عن فكرة العدالة الاجتماعية التي كانت في الستينيات أو أشعر بالحنين لعبد الناصر وأتمثله.. لا أفكر فيما لحق بي أنا شخصيًّا، أنا ذاتي مُلغاة في مواجهة الوطن، في مواجهة ما كان يمكن أن يخدم المجتمع. نعم عُذِّبنا، هذا صحيح، لكنه كان يبني

السدّ العالي[٣١]، وكان هناك حلم اجتماعي كانت توجد قضيّة كُبرى وطنية وأيضًا كان هناك خللًا في المجتمع الـذي أدّى إلى يوليـو ٦٧، ولكن الأحلام كانت كبـيرة وكانـت الـشعور بالكرامـة الوطنيـة إلى آخره.. لم يُكتَشَف ذلك إلا بعـد انتهـاء تلـك الحقبـة، يمكـن القـول أنها انتهت في ٦٧ عمليًّا وفي ١٩٧٠ مع رحيل عبد الناصر.

الدفاع عن عبد الناصر

الكاتب الكبير الأستاذ جمال الغيطاني أعتقد أن هناك دموع ترقرقت في عينيك وأنت تعود إلى هذه الفترة، وهـذه المعانـاة، لكن أنا سعيد بـشهادتك بهـذا الـصدق وهـذه الـصراحة، أنـا أشـعر وكأنك تردّ على كاتب كبير كالأستاذ أنيس منصور [٣٢].

---

(٣١) **سد أسوان العالي أو السدّ العالي**: هو سد مائي على نهر النيل في جنوب مصر، أُنشئ في عهد جمال عبد الناصر وساعد السوفيبت في بناءه ساعد كثيرا في التحكم في تدفق المياه والتخفيف من آثار فيضان النيل. يستخدم لتوليد الكهرباء في مصر. طول السد ٣٦٠٠ متر، عرض القاعدة ٩٨٠ متر، عرض القمة ٤٠ مترا، والارتفاع ١١١ متر. حجم جسم السد ٤٣ مليون متر مكعب من إسمنت وحديد ومواد أخرى، ويمكن أن يمر خلال السد تدفق مائي يصل إلى ١١،٠٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة. بدأ بناء السد في عام ١٩٦٠ وقد قدرت التكلفة الإجمالية بمليار دولار شطب ثلثها من قبل الاتحاد السوفييتي.

(٣٢) **أنيس محمد منصور**: كاتب صحفي وأديب نابغ مصري مخضرم، ولد في ١٨ أغسطس ١٩٢٤.

نعم

أعتقد أنك بينت بعض النقاط التي تصلح للرد على ممن يندهشون ويقولون: لماذا مثقفو مصر وكتّابها الذين عُذِّبوا وسُجنوا في عهد عبد الناصر يتولّون الدفاع عن عبد الناصر الآن ويتحمسون لمبادئه وأفكاره واشتراكيته وناصر ٥٦ وما إلى ذلك .

أقول لك بصدقٍ شديد جدًّا.. لا يوجد في حياتي ما أتناقض معه في كتابتي ولا في مسيرتي الأدبية، وأظن أن نفس المنطق ينطبق على الكتّاب الموجودين من جيلي.. لا أعني شخصًا محددًا ولا أعني الأستاذ أنيس منصور بالذات عندما أقول أن

ولد أنيس منصور ونشأ بمدينة شربين بمحافظة الدقهلية، التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة برغبته الشخصية، دخل قسم الفلسفة الذي تفوق فيه، وحصل على ليسانس آداب عام ١٩٤٧، وعمل أستاذاً في القسم ذاته، لكن في جامعة عين شمس لفترة، ثم تفرّغ للكتابة والعمل الصحفي في مؤسسة أخبار اليوم والإبداع الأدبي في شتى صوره. يجيد أنيس منصور عدة لغات منها: العربية والإنجليزية والألمانية والإيطالية. اطلع أنيس منصور على كتب عديدة في هذه اللغات وترجم بعضًا من الكتب والمسرحيّات. له العديد من المؤلفات، حصل على العديد من الجوائز منها: الدكتوراة الفخرية من جامعة المنصورة، جائزة الفارس الذهبى من التليفزيون المصري أربع سنوات متتالية، جائزة كاتب الأدب العلمي الأول من أكاديمية البحث العلمي.

بعض الكبار الذين كانوا أشد الناس شراسة في الهجوم على عبد الناصر هم الذين مدحوه وكتابتهم موجودة نحن نعمل في مهنة ليست مهنة سرّيّة، بمعنى: أن كل حرف كتبتُه يمكن الرجوع إليه بعد ألف عام عندما يجيء باحثٌ بعد ألف سنة ويتبين حقيقة ما أقوله.

نعود إلى القصص التي كتبتها (هداية أهل الورى إلى بعض ما جرى في المقشرة) ونُشرت في يوليو ٦٧ وكل ما كتبته من قصص كان فيه التركيز على قضية الحرية وقضية الـ أين كان الآخرون في ذلك الوقت، كانوا في صدارة المنابر الإعلامية والثقافية، وكانوا يبررون ما يجري، ثم انقلبوا على الفترة بعد أن انقضت.

ولذلك يعني أنا لا أصدق الكثير منهم.. ولكن أرد على هذه الجزئيّة لأن الموضوع لم يكن يتعلق بشخصي، لم يكن يتعلق بذاتي عندما أدافع عن عبد الناصر.. عندما أشعر بالحنين إلى عصره الآن فأنا أشعر بالحنين إلى قيمة اجتماعية كان يمثلها عبد الناصر.

مع العلم أني فُصِلتُ في عهد الرئيس السادات(٣٣)، ولكن هنا يجب أن أوضّح شيئًا هامًا وهو أن التناقض مع عبد الناصر أو المعارضة لنظام عبد الناصر أو ثورة يوليو في الحقبة الخاصة بالستينيات كانت حول التفاصيل، ليست حول المبادئ، بمعنى: فعبد الناصر كان يقول: «أنا ابني الاشتراكية» وكان هناك انحيازًا

---

(٣٣) **محمد أنور محمد السادات (٢٥ ديسمبر ١٩١٨ – ٦ أكتوبر ١٩٨١)**: ثالث رئيس لجمهورية مصرالعربية في الفترة من ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وحتى ٦ أكتوبر ١٩٨١.

التحق بالكلية الحربية لكنه طُرد منها وتم اعتقاله وإيداعه سجن الأجانب، لكنه هرب وغير ملامحه وغاب لفترة عن أهله حوالي ثلاث سنوات. ثم أودع السجن مرة أخرى، وبعد أن خرج انضم للتنظيم السري في الجيش، ثم اختاره الرئيس عبد الناصر نائبًا عنه وكونه كان نائبًا للرئيس أصبح رئيسًا للجمهورية. وقد اتخذ في ١٥ مايو ١٩٧١ قرارًا حاسمًا بالقضاء على مراكز القوى في مصر وهو ما عرف بثورة التصحيح، وفي نفس العام أصدر دستورًا جديدًا لمصر.

قد أقدم على إتخاذ قرار مصيري لمصر وهو قرار الحرب ضد إسرائيل التي بدأت في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عندما استطاع الجيش كسر خط بارليف وعبور قناة السويس فقاد مصر إلى أول انتصار عسكري على إسرائيل.

ثم زار الكنيست الإسرائيلي.. الأمر الذي وقفت العرب أمامه وعابوه عليه.

تم اغتياله في عرض عسكري كان يقام بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر، وقام بقيادة عملية الاغتيال خالد الإسلامبولي التابع لمنظمة الجهاد الإسلامي التي كانت تعارض بشدة اتفاقية السلام مع إسرائيل و لم يرق لها حملة القمع المنظمة التي قامت بها الحكومة في شهر سبتمبر.

حقيقيًّا للفقراء وكانت هناك قيم تشجّع العلم وتشجّع الثقافة، وأُنشأت جوائز الدولة إلى آخره.

وأكاديمية الفنون.

وأكاديمية الفنون، وكان هناك نهضة في هذا الاتجاه وأهم شيء هو وجود الانحياز للأغلبية

وحتى أعدى أعداء عبد الناصر وهو الأستاذ مصطفى أمين(٣٤)، قال لي في حديث مسجّل أنه كان يركب إلى جوار عبد

---

(٣٤) **مصطفى أمين (٢١ فبراير ١٩١٤ في القاهرة – ١٣ أبريل ١٩٩٧)**: صحفي مصري، يعد أحد أهم الكتاب والصحفيين المصريين. ولد مصطفى أمين وتوأمه علي أمين في بيت الأمة في مترل خال والدهم سعد زغلول.

التحق عام ١٩٣٥ بكلية الحقوق، ثم سافر بعد ذلك للولايات المتحدة حيث التحق بجامعة جورج تاون وحصل في عام ١٩٣٨ على الماجستير مع مرتبة الشرف في العلوم السياسية والاقتصاد والصحافة والتي عمل خلالها كمحرر متجول بجريدة المصري.

قد أصدر العديد من المؤلفات الأدبية والصحفية كما سجّل تجربته القاسية في المعتقل السياسي في تسعة كتب وروايات هي سنة أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة سجن وكذلك روايات هي صاحب الجلالة الحب وصاحبة الجلالة في الزنانة، تحوّلت روايته سنة أولى حب إلى فيلم ثم تحوّلت رواياته (لا) و (الآنسة كاف) إلى تمثيليات إذاعية ثم تلفزيونية، كما ألّف للسينما أفلام (معبودة الجماهير) و (فاطمة) وكان أول إنتاج له كتابه (أمريكا الضاحكة) عام ١٩٤٣ والذي نفذت ٣ طبعات منه خلال شهر. وأنشأت جائزة مصطفى وعلي أمين الصحفية والتي تعتبر بمثابة التتويج الحقيقي لمشاعر الأب الذي يحتضن أبنائه ويشجعهم

الناصر السيارة وكان عبد الناصر يهتم برؤية الحفاة في الشارع ويسعد جدًّا بقلتهم أو انعدامهم؛ لأنهم كانوا يشكّلون مشكلة في مصر الملكية قبل ٥٢ .

كان من برنامج كل حكومة جديدة إلغاء الحفاة والفقر والجهل والمرض.

والبلاجرا[٣٥] كانت منتشرة.

ويحفزهم على مزيد من النجاح في بلاط صاحبة الجلالة. و لم يقتصر هذا التكريم على الصحفيين بل امتد للمصورين ورسامي الكاريكاتير وسكرتارية التحرير الفنية و إلى الفنانين أيضًا.

[٣٥] **البلاجرا**: كلمة لاتينية و تعني الجلد الخشن ، و تُطلق على المرض الناتج عن نقص الحمض الأميني amino acid (التربتوفان tryptophan)، الذي يتحوّل داخل الجسم الى النياسين niacin ، والذي يقوم بدور هام في بعض التفاعلات كمساعد إنزيمي في عملية الأكسدة بترع الهيدروجين من بعض البروتينات أثناء عملية التمثيل الغذائي .

أعراضه الجلدية: تظهر الأعراض الجلدية على شكل جفاف وخشونة، مع بقع حمراء شبيهة بحروق الشمس في اليدين و القدمين و حول الرقبة والوجه، تتحول فيما بعد الى قشور بنية اللون تترك الجلد متغير اللون.

عهدي عبد الناصر والسادات

هناك ملحوظة أخرى وهي أن سيادتك والكثير من شهود العصر الذين سُجنوا في العهدين؛ في عهد عبد الناصر والسادات.. رغم اختلاف العهدين في توجّهاتهما وسياساتهما بدرجة ١٨٠ درجة، أمر يدعو لمزيد من التساؤل وكشف الغامض، فكيف تفسره؟

كان الموقف الباعث، الذي أدى بي إلى المعتقل هو الخلاف على التفاصيل، لكن في السبعينيات وبالتحديد منذ مايو ١٩٧١ أنا لم أصدق مسألة الديمقراطية، كما لم أصدق من قبل مسألة الاشتراكية، وعندما نعود إلى ذلك الوقت ونتأمّل الصُّحُف مثلًا سوف نجد أن الأمور كان تتم خطوة خطوة في اتجاه تشويه صورة جمال عبد الناصر، وهذا مألوف جدًّا في التاريخ المصري.

وهو ما يعني إزالة النقوش.

مثلًا؛ فجمال عبد الناصر قد نقول أنه كان يحكم بيدٍ من حديد أو ما شابه، لكن لا يمكن للذهن أن يتطرّق إلى أن هذا الرجل قد اختلس مالًا في يوم من الأيام.. هذا مستحيل.

بالطبع.

فنُفاجَأ، في مرحلة التصفية يصدر أحد الصحفيين وهو المرحوم جلال الحمامصي و ي كتابًا يتّهمه فيه بسرقة مليون جنيه. كيف ذلك وعبد الناصر كان همه الزعامة والوطن والفقراء... إلخ؟! ما الذي يعنيه مليون جنيه بالنسبة لعبد الناصر؟!

أتذكر أن ابنته عندما حصلت على مجموع ولم تتمكن به دخول الجامعة المصرية فاضطرت للالتحاق بالجامعة الأميركية كان محتارًا في كيفية تدبير العملة الصعبة لتمويل دراستها فمن أين يأتي بالدولار؟!

في الواقع لم أشعر بالتوافق مع الرئيس أنور السادات إلا في أيام الحرب.

حرب أكتوبر١٩٧٣

تلك هي النقطة التي أريد أن أصل إليها.. من العبور وانتصار أكتوبر ٧٣ وأنه يجُب ما قبله.

سيبقى للسادات رفعة شأن قرار الحرب؛ لأن قرار الحرب قرارٌ خطيرٌ للغاية، ولا قدّر الله لو كانت النتيجة سلبية كان هو أول من سيدفع الثمن.

بالتأكيد.

وحرب أكتوبر لم تأخذ حقّها حتى هذه اللحظة إعلاميًّا.

نعم.

أنا عشت هذه الحرب من يوم الأحد صباحًا.. لم أقرأ ولم أسمع ولم يروى لي، لكنني عشت وشاهدت بحواسي الخمس، وكان من الممكن جدًّا أن أموت في مواقف كثيرة جدًّا فيها، وجنّدت قلمي منذ اليوم الأول إلى أن توقف إطلاق النار في ٢٤ أكتوبر..ثم أوقفت قلمي بعد الحرب في الكتابة عن الشهداء.. عمليًا تقاعدت كمراسل حربي بعد وقف إطلاق النار، ولم أكتب

إلا عن الشهداء.. وجريدة الأخبار موجودة لمن شاء أن يرجع ويجدني كتبت عن إبراهيم الرفاعي [٣٦] وعن إبراهيم عبد التواب[٣٧] وعن جنود العسكرية المصرية الذين سيظلوا نجومًا مُضيئة في سماء هذا الوطن يجب أن نهتدي بهم ونقتدي ولا ننساهم.

---

[٣٦] **العميد أركان حرب/ إبراهيم الرفاعي**: من مواليد شارع البوسته بحي العباسية في ٢٦ يونيو ١٩٣١بالقاهرة ووالده من الدقهلية ، ورث عن جده (الأميرالاي) عبد الوهاب لبيب التقاليد العسكرية والرغبة في التضحية فداءاً للوطن، كما كان لنشئته وسط أسرة تتمسك بالقيم الدينية أكبر الأثر على ثقافته وأخلاقه التحق إبراهيم بالكلية الحربية عام ١٩٥١ وتخرج ١٩٥٤، وأنضم عقب تخرجه إلى سلاح المشاة وكان ضمن أول فرقة قوات الصاعقة المصرية في منطقة (أبو عجيلة) ولفت الأنظار بشدة خلال مراحل التدريب لشجاعته وجرأته منقطعة النظير.

شارك في الدفاع عن مدينة بور سعيد ضد العدوان الثلاثي ، شارك في حرب اليمن وكان قائدًا لكتيبة كان لها عظيم الأثر في ذلك الأمر، قام بعدة عمليات مرعبة ضد إسرائيل أثبت فيها براعته وبسالة المجموعة التي كانت معه.

استشهد إثر شظية أصابته في مواجهة قوات الاحتلال في الاسماعيلية فنقل بعدها إلى مستشفى الجلاء، صعدت روحه الطاهرة يوم الجمعة ٢٧ رمضان وكان صائمًا وهذا حاله في الحرب على الرغم من أنه كان يأمر البقية بالإفطار والتقوّي للمواجهة.

[٣٧] **العقيد / إبراهيم عبد التواب**: ولد بمحافظة أسيوط في العاشر من مايو ١٩٣٧، تخرّج في الكلية الحربية عام ١٩٥٦، تدرّج إبراهيم عبد التواب عقب تخرجه في مناصب القيادة المختلفة حتى تولى رئاسة أركان إحدى مجموعات الصاعقة ، ثم أصبح قائدًا لإحدى كتائب لواء تابع للقوات الخاصة في حرب أكتوبر.. تولّى بنفسه تشكيل كتيبة واستكمالها من أفراد ومعدات... في الرابع عشر من يناير ١٩٧٣ وبينما كان البطل يواجه إحدى غارات العدو، سقطت دانة غادرة إلى جواره فأستشهد بين رجاله.

واقع الحركة الثقافية

ما الذي تود أن تثبته في شهادتك الآن عن واقع الحركة الثقافية والأدبية، حركة النشر وسوق الكتاب وحالته الآن في عصر الستالايت والأقمار الصناعية والقنوات الدولية وما إلى ذلك؟

نحن الآن نجاهد مجاهدة كبيرة للحفاظ على قيم الثقافة؛ لأن الكتاب في تراجع، وهذا ليس في مصر فقط ولكن في العالم العربي ككل.

قد تكون زادت ملاحظتك أكثر عندما عُرض مسلسل الزيني بركات[٣٨] تلفزيونيًا.

نعم

عندما أُخرِجت كرواية.. قُرأت وكُتبت وتُرجمت إلى أربع وعشرين لغة، لكن حينما عُرضت كمسلسل تلفزيوني، أعتقد إن الملايين تابعوه وعرفوه.

---

[١] **مسلسل الزيني بركات:** مسلسل مصري تاريخي عن رواية بنفس الاسم لجمال الغيطاني من إخراج يحيى العلمي وبطولة أحمد بدير ونبيل الحلفاوي.

هناك واقعة غريبة وطريفة في نفس الوقت وهي عندما عُرض المسلسل في التلفزيون، ففي أحد الأيام كنت أقف في مكتبة في وسط المدينة فسمعت حوارًا بين طالبتين جامعيتين.. تقول إحداهما للأخرى: «دا الزيني بركات أهيه.. دا طلعت في كتاب».. كانت تعني أن المسلسل صدر في كتاب.. بينما الكتاب طُبع عشر مرات قبل عمل المسلسل!!

الزيني بركات صدر في ٧١ وأنتجت بعد ٢٥ سنة في التلفزيون المصري، وهذا يشير إلى تغير المناخ إلى الأفضل الذي نعيشه، حقيقة الآن لم يعد لنا إلا أن نقول الصدق.. فلا شك أن مساحة التعبير أو حرية التعبير في السنوات الأخيرة لا تُقارن..

وأنا شخصيًّا أثرت موضوع الكتاب وموضوع الثقافة أكثر من مرة في مواجهات مباشرة مع الرئيس مبارك[٣٩]، وأقسم بشرفي

---

[٢] **محمد حسني سيد مبارك، وشهرته حسني مبارك** (**٤ مايو ١٩٢٨** –): رئيس جمهورية مصر العربية منذ ١٤ أكتوبر ١٩٨١، هو الرئيس الرابع لمصر. تقلّد الحكم في مصر كرئيس للجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية ورئاسة الحزب الوطني الديمقراطي بعد اغتيال الرئيس أنور السادات في ٦ أكتوبر ١٩٨١ بصفته نائب رئيس الجمهورية. وبذلك

وأنا كشاهد الآن، أدلي بشهادتي أن قدرتي على التعبير في مواجهة الرئيس مبارك أجرأ من قدرتي على التعبير في مواجهة مستويات أقل منه بكثير.

نعم

فعنده من رحابة الصدر بحيث يجعلك أن تكون.. ويتخذ القرار إذا اقتنع بصدق ما تقول وأنه ليس نتيجة دافع شخصي... ما الذي يجعلني أن أتبنى قضية الدفاع عن الكتاب، أنا لست بناشر، ولكن أعرف تمامًا ما يمثّله الكتاب بالنسبة للثقافة المصرية، مصر حققت قيادتها للعالم العربي ومكانتها في العالم بالثقافة، فعندما كنا نقود قيادة ثقافية لم يكن ذلك نتيجة غزو قد تم أو إمكانيات مادية.

أو الثراء

تكون فترة حكمه من أطول فترات الحكم في المنطقة العربية بل وتعد الأطول بين ملوك ورؤساء مصر في العصر الحديث منذ محمد علي باشا.

كنا نطبع مجلات كالرسالة و الثقافة والهلال .. إلخ، الكتاب للأسف تراجع وعومل معاملة سيئة؛ عومل معاملة الأحذية والبضائع في الجمارك، صحيح الوضع أفضل في السنوات الأخيرة ولكن ليس بالقدر.

وليس كما نريده ونتمنّاه..

العناوين أقل، التكلفة أكثر.. وصوله إلى القارئ صار صعبًا. يحزنني جدًا أن أتجوّل في مكتبات المغرب أو في تونس أو في اليمن أو في السعودية أو في الخليج فلا أجد الكتاب المصري، وأجد المخلّفات المصرية المطبوعة في بيروت فقط.. هذه قضية قومية.. قضية مصيرية وطنية تحتاج منا إلى جهد كبير لتحطيم البيروقراطية[٤٠] ولتزليل الوسائل التي تؤدي إلى إعادة الكتاب.

---

[٣] البيروقراطية: هي مفهوم يستخدم في علم الاجتماع والعلوم السياسية.. يشير إلى تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظّمة. وتعتمد هذه الأنظمة على الاجراءات الموحّدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرميّة والعلاقات الشخصية. وهنالك العديد من الأمثلة على البيروقراطية المستخدمة يوميًا: الحكومات، القوات المسلّحة، الشركات، المستشفيات، المحاكم، والمدارس.

هناك جهد إنساني مشكور تتبناه السيدة سوزان مبارك[٤١] في مشروع القراءة للجميع.

نعم

هذا مشروع أهدافه نبيلة جدًّا، لكن أتمنى أن يستمر هذا المشروع طوال العام وأن يتّجه إلى الخارج أي إلى التصدير.. تصدير الكتب التي تطبع فيه، وله الفضل في إعادة لفت النظر إلى الانتباه إلى الكتاب، من هنا تأتي معارضتي المستمرة لفكرة المهرجانات الثقافية، التي تشهدها حياتنا الثقافية بانتظام منذ عدة سنوات

[٤] **سوزان صالح ثابت (مواليد ٢٨ فبراير ١٩٤١)**: هي زوجة حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الحالي ووالدة كلًا من علاء مبارك وجمال مبارك.

وُلدت سوزان لطبيب مصري (د. صالح ثابت) بمدينة مطاي بمحافظة المنيا بمصر في ٢٨ فبراير ١٩٤١. حصلت على الثانوية الأمريكية من مدرسة سانت كلير بمصر الجديدة، وفي عام ١٩٧٧ حصلت على شهادة البكالوريوس من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وعندما تم تعيين حسني مبارك نائبًا للرئيس في عام ١٩٧٧ حازت الماجستير في علم الاجتماع من نفس الجامعة.



المهرجانات الثقافية

لماذا؟

لأن هذه المهرجانات تقوم على الفرقعة، العمل الثقافي يحتاج إلى عمل طويل النَّفَس؛ بمعنى أن تتبنى مثلًا مشكلة مثل مشكلة الكتاب، مشكلة المجلات الثقافية، التي تحتاج إلى دعم

وما المانع أن يصاحب هذا ذاك؟.. فالمهرجان تلفت أنظار الجماهير؛ الجماهير العادية الغير متخصِّصة ثقافيًّا، كنوع من الإعلام والدعاية وجذب الأنظار.

ياسيدي، أُقيمُ مهرجانًا عندما يكون لدي ما أقدمه في هذا المهرجان.. ولكن ما لا أستطيع أن أفهمه أن يقام على سبيل المثال مهرجان للمسرح التجريبي في كل سنة يتكلّف ملايين الجنيهات في الوقت الذي لا يوجد فيه لديك مسرح.

مثلا تقام مهرجانات غريبة.. آخر مهرجان سمعت عنه هو مهرجان الفسيفساء[٤٢] في الإسكندرية. لم نسمع ولم نقرأ عنه شيئًا.

مع أني تصّورت أنك ستسعد به؛ لاهتمامك بالمنمنمات والمعمار والشكل.

لم يحدث أن عُرف بهذا المؤتمر أو ما الغرض منه أو من جاء فيه.. مثلًا، أقيم مهرجان الحِرَف التقليدية في صمت وكأنّه مهرجان سرّيّ. الرغبة في الاستعراضية هي التي تغلب على العمل الثقافي، وهذا يتناقض مع مضمون مصر.. ومصر لم تَقُد العالم أو

---

[٥] الفسيفساء: من أقدم فنون التصوير.. ترسم اللوحة الفسيفسائية عادة بانتظام عدد كبير من القطع الصغيرة الملوّنة كي تكوّن بمجملها صورة تمثل مناظر طبيعية أو أشكالًا هندسية أو لوحات بشرية أو حيوانية. استخدام الفسيفساء قديم ويرجع لأيام السومريين ثم الرومان حيث شهد العصر البيزنطي تطوّرًا كبيرًا في صناعة الفسيفساء؛ لأنهم ادخلوا في صناعته الزجاج والمعادن واستخدموا الفسيفساء بشكل كبير في القرن الثالث والرابع الميلادي باللون الأبيض والأسود فبرعوا بتصوير حياة البحر والأسماك والحيوانات، والقتبانيين العرب الذين صنعوا أشكالًا هندسية، والفسيفساء الإسلامية كما بالجامع الأموي بدمشق وقبة الصخرة في القدس، وقد مرّ تطور الفسيفساء بمراحل عديدة حتى بلغ قمته في العصر الإسلامي .

الثقافة العربية بالمهرجان ولكن بالكتاب وبالاسطوانة وبالفيلم، فللنظر ما آل إليه أمر السينما المصرية الآن.

أنا في مواجهة الوضع الذي تمر به السينما المصرية الآن، كنت أتمنى أن يجتمع مجلس الأمن القومي، وليس مجلس الوزراء؛ لأن هذه قضية مصيرية، من الذي حمل اللهجة العامية المصرية إلى العالم العربي.

الأفلام المصرية.

عندما نتأمّل الآن القنوات الفضائية التي تبث إرسالها بالساعات الطوال.. ما هي الأفلام التي تُعرض في تلك القنوات.. إنها الأفلام المصريّة القديمة، ولذلك فأنا تلقّيت مثلًا خبر المدينة الإعلامية، هذه صناعة ثقيلة في الحقيقة.. التي قامت في ٦ أكتوبر.

مدينة ٦ أكتوبر(٤٣)

أريد أن أضرب من هنا مثلًا بذكاء الرأسمالية المصرية الوطنية. فالذي أنشأ السينما في مصر هو طلعت باشا حرب(٤٤).. رائد الرأسمالية المصرية، وأنا أتكلم الآن عن الرأسمالية، لقد ولى حلم الاشتراكية، وأنا أتكلم عن الرأسمالية.. لكن أتكلم عن الرأسمالية الواعية الوطنية وليس الرأسمالية التهريبية. طلعت باشا حرب أسس استوديو مصر في عام ١٩٢٩ عام الأزمة الاقتصادية

---

(٦) **مدينة ٦ أكتوبر**: هي إحدى المدن الجديدة المصرية التي تم بناؤها للحد من الكثافة السكانية لمدينة القاهرة وهي محافظة مستقلة بدءًا من عام ٢٠٠٨ وتحمل اسم محافظة ٦ أكتوبر.. بنيت على أرضها العديد من الجامعات الخاصة التي يتوفر بها مختلف الاختصاصات العلمية والأدبية، وكذلك إحدى أهم المناطق الصناعية في جمهورية مصر العربية، بالإضافة إلى عدد من القرى السياحية الراقية ومدينة الإنتاج الإعلامي ومدينة دريم بارك.

(٧) **محمد طلعت بن حسن محمد حرب (٢٥ نوفمبر ١٨٦٧ – ١٣ أغسطس ١٩٤١)**: مؤسس بنك مصر ومجموعة شركاته. يعتبر من أعلام الاقتصاد في العصر الحديث في مصر.. فقام بتأسيس بنك مصر والذي ساهم في إنشاء العديد من الشركات التي تحمل اسم مصر مثل شركة مصر للغزل والنسيج ومصر للطيران ومصر للتأمين ومصر للسياحة واستديو مصر وغيرها.

العالمية الكبرى[٤٥] أفلست بعض شركات بنك مصر وكان من بينها استوديو مصر وبعض شركات مصايد الأسماك، فعندما عرضت عليه رفض تصفية استوديو مصر ودعّمه بالمال، وصفى بعض الشركات الأخرى.

صحيح

هذا هو بعد النظر؛ لأن هذا الاستوديو المتواضع الذي زرته لأول مرة عندما كان الفنان يحيى العلمي[٤٦] يخرج الزيني

---

[٨] **الأزمة العالمية الكبرى١٩٢٩، أو الكساد الكبير أو الإنهيار الكبير**: هي أزمة اقتصادية في عام ١٩٢٩م ومرورًا بالثلاثينيات وبداية الأربعينيات، وتعتبر أكبر وأشهر الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين ويضرب بها المثل لما قد يحدث في القرن الواحد والعشرين وما مدى سوء الأزمة التي قد تحدث وقد بدأت الأزمة بأمريكا ويقول المؤرخون أنها بدأت مع انهيار سوق الأسهم الأمريكية في ٢٩أكتوبر١٩٢٩ والمسمى بالخميس الأسود .وكان تأثير الأزمة مدمرًا على كل الدول تقريبًا الفقيرة منها والغنية، وانخفضت التجارة العالمية ما بين النصف والثلثين، كما انخفض متوسط الدخل الفردي وعائدات الضرائب والأسعار والأرباح. أكثر المتأثرين بالأزمة هي المدن وخاصة المعتمدة على الصناعات الثقيلة كما توقفت أعمال البناء تقريبًا في معظم الدول، كما تأثر المزارعون بهبوط أسعار المحاصيل بحوالي ٦٠% من قيمتها.

[٩] **يحيى العلمي**: مخرج مصري راحل، ولد في ٥ يوليو ١٩٤١ في الزقازيق، بدأ عمله في السينما والتلفزيون بعد تخرجه من كلية الحقوق في بداية الستينيات، أخرج العلمي في حياته

بركات في بعض أجزائه كان مجرد مكان صغير جدًّا ، على الرغم من هذا أنتج هذا العمل.. فما ظنك بالمدينة الجديدة؟!

 **روائع**

(◉) يجب على العمل الثقافي الإعلامي المتكامل أن يتجه إلى إنتاج الوعاء الذي يقدم فيه المنتج الثقافي المصري أولًا الكتاب، ثانيًا الاسطوانة، ثالثًا الفيلم، ثم نقيم المهرجان.

الفنية ثلاثين فيلما تقريبًا، أبرزها «خائفة من شيء ما» و«طائر الليل الحزين» و«تزوير في أوراق رسمية».

الغنـــاء

على ذكـر الاسـطوانة، تـذكّرت جانبًا في شخـصيّتك، قـد يكـون مهـمًّا في الإطـار الثقـافي الـذي نتحـدث مـن خلالـه في هـذه الشهادة لأسأل سيادتك عن حالة الغناء الآن..

شهادة ربما لن تسُرّ... فمزاجي ينحـاز إلى الـتراث وإلى الغناء القديم، ولكن الحقيقة ليس بـسبب هـذا المـزاج فقـط، ولكـن بسبب رداءة الحـديث؛ أولًا الغنـاء مـسألة مهمـة جـدًا لأنهـا تـصوغ الوجدان، وأنا أذكر أنه توجد أجيال كاملة نشأت على أغنيـة معينـة أو على أغاني لمطرب معين، وأحبّت عليه.



كيف؟

مثلًا لو أن الفرد يبتدئ بقصة حب (صافيني مرة) لعبد الحليم[٤٧] شكل الأغنية وطبيعة الكلمات وتركيب اللحن، بالطبع يؤثر على حالتي النفسية في النظر إلى المحبوب ويجعلني عندما أخلو بنفسي أردد هذه الأغنية.

أُطبّق عليها عملية الإسقاط.

نعم، أسقط عليها المعنى واللحن.

إذن، فهي تُشكّل الوجدان.

---

[١٠] **عبد الحليم حافظ** (٢١ يونيو ١٩٢٩ - ٣٠ مارس ١٩٧٧): مطرب مصري، اسمه الحقيقي عبد الحليم على شبانة. وُلِد في مدينة الحلوات، محافظة الشرقية القريبة من محافظة القليوبية ويوجد بها السرايا الخاصّة به ويوجد بها الآن بعض المتعلقات الخاصة به.

يعتبر الفنان عبد الحليم حافظ من أهم المطربين الرومانسيين العاطفيين في فترة ظهوره من ناحية، وكان الممثل لمباديء الثورة وللحلم المصري من ناحية أخرى في أغانيه الوطنية.

توفي يوم الأربعاء في ٣٠ مارس / آذار ١٩٧٧ في لندن عن عمر يناهز الثمانية والأربعين عامًا.

بالضبط، أنا أذكر مثلًا في الغربة عندما أعـاني الغربـة أو لسبب قهري أو لسبب السفر أغنية يا ترى يا نسمة هتقولي أيه لعبـد الوهاب تبكّيني.

نعم

أؤرخ حياتي ببعض الأغاني، حياتي النفسية والعاطفيـة كفترة المدرسة وفترة البشارة بالمستقبل بخروجي صباحًا من البيـت للمدرسة (يا صباح الخير يا اللي معانا) لأم كلثوم[٤٨]، (مـين يـشتري الـورد مني وأنـا بنـادي وأغنـي) لليلى مـراد[٤٩]؛ لـيلى مـراد الوجـه

---

[١١] **أمّ كلثوم** (**٣٠ ديسمبر ١٨٩٨ – ٣ فبراير ١٩٧٥**): مغنية مصرية، اشـتهرت في مصر وفي عموم العالم العربي والعالمي في القرن العشرين، ولُقبت بكوكب الشرق وسـيدة الغناء العربي. أغنية (أوقاتى بتحلو معاك....و حياتي بتكمل برضاك) آخر ما غنت بـه أم كلثوم، وأثناء البروفات للأغنية وقعت صريعة لمرض التهاب الكلى، سافرت إلى لندن للعلاج وكانت قبل سفرها قد طلبت من الشاعر صالح جودت أن يكتب أغنية بمناسبة نصر أكتوبر وبعد عودتها طلبت من الملحن رياض السنباطي تلحينها حتى تغنيها في عيد النـصر لكنـها توفيت قبل أن تؤديها وكانت الأغنية مطلعها (ياللى شبابك في جنود الله.... والحـرب في قلوبهم صيام وصلاة).

[١٢] **ليلى مراد** (**١٧ فبراير ١٩١٨ – ٢١ نوفمبر ١٩٩٥**): مطربة وممثّلة مصريّة وُلدت في ١٧ فبراير١٩١٨ بالإسكندرية لأسرة يهودية مغربية الأصل، والدها هو المغني والملحّـن إبراهيم زكي موردخاي «زكي مراد» الذي قام بأداء أوبريت العشرة الطيبة الـذي لحنـه

الصبوح والصوت الجميل، وهناك أغاني كان فيها طعم المصرية (المصرية دي حاجة مش مظهرية.. المصرية دي سلوك وحضور في العمارة.. في الرسم في الفن) كالليمون البنزهير.. هل تجد الليمون البنزهير في أي بلد في العالم؟

لا

في مصر؛ فتجده في الأغاني في صوت سيد مكّاوي(٥٠) في ألحان سيد درويش(٥١) في حورية حسن(٥٢)، حتى المطربات الوافدات

الموسيقار سيد درويش، وأمها جميلة سالومون مصرية من أصل بولندي. تم التحقيق معها بتهمة المساعدات المادية لإسرائيل لكن ثبتت برائتها، أعلنت إسلامها وماتت مسلمة في ٢١ نوفمبر ١٩٩٥، وكُرِّمت في مهرجان القاهرة السينمائي الدولي في دورة ١٩٩٨ بمنحها شهادة تقدير تسلمتها عنها الفنانة ليلى علوي.

(١٣) **سيد مكاوي (١٩٢٨ – ٢١ أبريل ١٩٩٧)**: ملحن مصري. ولد في حي الناصرية وهو أحد احياء حي السيدة زينب العريق، ولد سيد مكاوي في اسرة شعبية بسيطة وكان لكف بصره عاملا أساسيا في إتجاه أسرتة إلى دفعه للطريق الديني بتحفيظه القرآن الكريم فكان يقرأ القرآن ويؤذن للصلاة في مسجد أبو طبل ومسجد الحنفي بحي الناصرية.

(١٤) **اسمه الحقيقي السيد درويش البحر**: هو مجدد الموسيقى وباعث النهضة الموسيقية في مصر والوطن العربي. ولد سيد درويش في الإسكندرية في ١٧ مارس ١٨٩٢ وتوفي في ١٠ سبتمبر ١٩٢٣.

اللواتي جئن في الأربعينيات والخمسينيات طوعتهم الحالة المصرية نفسها وليس العكس، فلا يمكن مثلًا أن أعتبر فايزة أحمد[٥٣] أجنبية، أو أسمهان[٥٤]، التي كانت أميرة، لكن الشروط التي كانت تتحكّم في ظهور الموهبة في ذلك الوقت كانت شروطًا تتعلّق بالكفاءة فقط.

---

(١٥) **حورية حسن:** مغنية وممثلة مصرية، اشتهرت بغناء الأوبريتات حتى وُصِفت بمطربة الأوبريت الأولى، ومن أهم الأوبريتات التي غنتها: معروف الإسكافي وهو أول أوبريت تغنيه في الإذاعة، ثم أوبريت البيرق النبوي، شهرزاد، يوم القيامة، البروكة، وكان آخر أوبريت شاركت فيه بالغناء هو حمدان وبهانه عام ١٩٦٤.
قدمت للسينما ستة أفلام كان أولها الصبر جميل ثم فيلم أحبك ياحسن، وقد غنت فيه أغنيتين من أنجح أغانيها وهما «يابو الطاقية الشبيكة» و«من حبي فيك ياجاري»، وفيلم بابا عريس، وفيلم عنتر ولبلب، وفيلم في صحتك، وأخيرا فيلم العلمين.
أطلق عليها لقب «المطربة الطائرة» لأنها كانت دائمة السفر إلى الدول العربية الشقيقة لإحياء الحفلات. غنت أكثر من ٤٠٠ أغنية. توفيت ٨ يونيو ١٩٩٤.

(١٦) **فايزة أحمد (٥ ديسمبر ١٩٣٤ – ٢٤ سبتمبر ١٩٨٣)**: مغنية سورية حملت الجنسية المصرية ولدت لأب سوري في صيدا بلبنان وعاد الأب إلى دمشق وكانت فايزة طفلة صغيرة لم تبلغ الحادية عشرة من عمرها، قدمت خلال مسيرة حياتها الفنية مئات الأغاني وبضعة أفلام. توفيت في ١٩٨٣/٩/٢٤.

(١٧) **أسمهان (٢٢ نوفمبر ١٩١٧ – ١٤ يوليو ١٩٤٤)**: فنانة سورية-مصرية-، وهي شقيقة الموسيقار الكبير فريد الأطرش، هي الابنة الوحيدة التي كتب لها الحياة في أسرتها.



بالموهبة.

وليست من وراءها. لا فلانة أو فلان أو تكلفة أو إعلان يدعم، نحن نعلم الآن سوق الغناء تصل فيه تكلفة الكاسيت إلى عشرات الآلاف.

بالطبع.

وتكلفة فيلم مصور تصل إلى مئات الآلاف.

من يستطيع ذلك؟ أنا الآن أرى في مصر أصواتًا رائعة يمكن أن يخرج منها عشرات أم كلثوم،والله سمعت في الريف المصري وفي قصور الثقافة وفي الأوبرا هنا على مرمى حَجر منا أصواتًا غاية في الجمال، لكن من يتعهدها.. من يراعاها؟

إذن الفرق، أن الشعب قديمًا هو الذي يحتضن الموهبة ويدعّمها ويشجعها، إنما الآن أفراد وهم من يملكون المال.

تيارات

أو مؤسسات

وهذه تمثل مشكلة كبيرة، ومن هنا أنا أحيي البرنامج العام في إعادة أو الحفاظ على الذاكرة الغنائية للشعب المصري بشكل عام.. سواء البرنامج العام أو.. والله أنا أعنيها تمامًا، يكفي مثلًا حفلات أم كلثوم التي تُذاع

نعم، فهذا عصرٌ من الغناء..

هناك تراث غنائي مصري غنيٌّ جدًا لا يُذاع.. أنا أعتقد إننا لو أحصينا في السنوات الأخيرة كم أغنية أُذيعت مثلًا لحورية حسن أو لسعاد مكاوي(٥٥) أو لعبد الغني السيد(٥٦)...

نحن الأن في مرحلة إعادة الخريطة الغنائية إلى أصولها، وبدأ ذلك فعلًا كتجربة في البرنامج العام، ونجحت جدًّا، ولا

---

(١٨) **سعاد مكاوي**: مطربة من مواليد ١٩٣٨اسمها سعاد محمد سيد مكاوى ابنة الملحّن محمد مكاوى.

(١٩) **عبد الغنى السيد (١٩١٢ – ٩ ديسمبر ١٩٦٢)**: مطرب مصري، مولود في القاهرة، لم يحظ بقدر من التعليم، فعمل «استرجي» واكتشف موهبته كمطرب، ثم اشتهر بأغنياته في الأفراح، ولمع في الإذاعة المصرية مع افتتاحها عام ١٩٣٤، وعمل في السينما في أفلام قليلة، وفي عام ١٩٤٠ درس الموسيقى. من أشهر أغانيه،«البيض الأمارة»، «ع الحلوة والمرة».

تتـصور صـدى هـذا لـدى المـستمعين مـن مكالمـات وبرقيّـات وفاكسات وسيادتك تؤكّد ذلك أيضًا وتلك شهادة نعتز بها.

أنني مجرد داع إلى حركة تصحيح غنائية ولن يقوم بهذا إلا أجهزة الإعلام المصري

بالضبط

فـأجهزة الإعـلام المـصرية بـما لـديها مـن تـراكم ثقـافي ووعي وأيضًا نزاهة وتجرّد في القـصد هـذا هـو المهـم والأقـدر على القيام بهذا العمل.

المبدعون العرب والقاهرة

الكاتـب الكبـير الأسـتاذ جمـال الغيطـاني، سـيادتك قـد ذكرت أن معركة كبيرة كانت تأصيل شرعيـة وجـود هـذا الجيـل في الواقع الثقافي في مصر والدفاع عـن الـدور المـصري في العـالم العـربي بعد خصومة بدأت في أعقاب رحيل الـزعيم الراحـل عبـد النـاصر، الآن ما هي الصورة من خـلال مـا نلاحظـه عـلى كثـير مـن المبـدعين

العرب وهم يحاولون الانتشار من مصر وهذا على ذكر الغناء أيضًا أن الصوت الذي يسعى وراء الشهرة يأتي إلى القاهرة.

عندما نأتي إلى الحديث عند هذه النقطة الآن، حدث منذ السبعينيات اضطراب في المشهد الثقافي العربي أو في نشر الفن العربي -أولًا أنا أنطلق بالنسبة للثقافة العربية أنها كل متكامل في إطار التنوّع؛ بمعنى أن الثقافة في المغرب هي جزء من تكويني، الثقافة في الخليج جزء من تكويني ولا يوجد فضل لهذا القطر على ذاك إلا بالتراكم وبالدور- فبدأنا نسمع ونقرأ عن دعاوي غريبة، عن استعمار ثقافي مصري..

غزو ثقافي

غزو ثقافي مصري أو عن دور ثقافي مصري انتهى.. هذا كان يردده الأشقاء أو بعض التيارات المعينة التي لا نعرف أو إلى أين تنتهي بالضبط.

وساعد على ذلك هجرة عدد من المثقفين إلى بعض الأقطار العربية وإلى أوربا ثم بدأ الهجوم على الثقافة المصرية ثم بدأ على

أشخاص الأدباء المصريين والفنانين المصريين. وهناك حملات منظّمة مموّلة حتى الآن تستهدف تشويه الفنانين المصريين أولًا؛ لأن تأثيرهم أوسع.. ثم المثقفين المصريين ثانيًا.

التراكم والإبداع

رموز مصر بمعنى أصح

نعم، رموز مصر.. وأنا لا أريد أن أثير حساسيات ولكن أقول: هذه الحملات نعرفها ونعرف مَن وراءها، وهي حملات تستهدف العقل والوجدان المصري وتدمير الدور المصري وضربه في الصميم، لكن مع الوقت بدأت هذه الدعاوى تتساقط؛ أولًا لأن الثقافة في مصر لم تكن منغلقة في أي يوم من الأيام، الصحافة المصرية الذي بدأها هم الشوام، الفن المصري.. عندما أقول الآن ربما المشاهد أو المستمع نجيب الريحاني[٥٧] لا يعرف أن

---

[٢٠] **نجيب الريحاني**، (**٢١ يناير ١٨٨٩ – ٨ يونيو ١٩٤٩**): ممثل فكاهي مصري، عُرف بشخصية كشكش بيه، توفي إثر إصابته بمرض التيفوئيد.

أصله شامي، ماري منيب(٥٨)، فمصر هي المعمل الذي كانت تنصهر فيه كل عناصر الفن العربي، وما كانت توجد عقدة الانغلاق أو... القُطريّة.



ولد في حي باب الشعرية لأب من أصل موصلي عراقي كلداني مسيحي اسمه «إلياس ريحانة» يعمل بتجارة الخيل فاستقر به الحال في القاهرة ليتزوج سيدة مصرية قبطية أنجب منها ولده نجيب.

عمل الريحاني في الاسكتشات الخفيفة في البداية ثم في التمثيل، تزوج من الراقصة السورية بديعة مصابني التي طلّقها فيما بعد بسبب غيرها عليه وله منها ابنة واحدة. توفي أثناء تمثيله فيلم (غزل البنات) ١٩٤٩ م فتم تعديل نهايته قسرًا، شاركه البطولة نخبة من النجوم منهم ليلى مراد وأنور وجدي ويوسف وهبي ومحمود المليجي وفريد شوقي.

(٢١) **ماري منيب (١١ فبراير ١٩٠٥ – ٢١ يناير ١٩٦٩)**: ممثلة كوميدية مصرية، اشتهرت في عدد من الأفلام والمسرحيات في أواخر الأربعينيات والخمسينيات. ولدت ماري سليم حبيب نصرالله في إحدى ضواحي العاصمة السورية دمشق في ١١ فبراير ١٩٠٥. جاءت أسرتها إلى القاهرة وسكنت حي شبرا بالمدينة، وبدا عليها موهبتها الفنية في عمر مبكر. بدأت حياتها الفنيه في الثلاثينيات على المسرح، انضمت إلى فرقة الريحاني عام ١٩٣٧، وظلت تعمل في مسرح الريحاني طوال عمرها. عملت في مايزيد عن مائتي فيلم سينمائي، ومن أهم أعمالها: إلا خمسه، ٣٠ يوم في السجن، استنى بختك، كما عملت في العديد من الأفلام منها: الستات مايعرفوش يكدبوا، أم رتيبه، كدبة أبريل، ورسالة من امرأة مجهولة. توفيت في القاهرة في **٢١ يناير ١٩٦٩**.

بالعكس أنا عندما احتككت بالعالم العربي جيّدًا وجدت أن أكثر الأقطار العربية حديثًا عن القومية هي أكثرها قطرية، وأكثر البلدان العربية إيمانًا بقومية الثقافة هي مصر، التي لا نتحدث فيها ليلًا ونهارًا عن فكرة القومية أو الشعارات، وهناك حزام ثقافي عربي موجود؛ بلد كسوريا مثلًا، لا تشعر هناك بأي تناقض تجاه مصر، المغرب، تونس، اليمن، وهكذا والسودان إلى آخره، فالدور الثقافي المصري هذا نتيجة تراكم طويل جدًّا جدًّا جدًّا، أنا مثلًا مسؤول اليوم عن أخبار الأدب.. أحمد حسن الزيات(٥٩)، وأحمد الصاوي(٦٠)، وجورج زيدان(٦١) الشامي في الهلال

---

(٢٢) **أحمد حسن الزيات**: من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، ومؤسس مجلة الرسالة. اختير عضوًا في المجامع اللغوية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وحاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٢ م في مصر.

(٢٣) **أحمد الصاوي**: كاتب صحفي مصري من مواليد محافظة الغربية ، ٩٠ كيلو مترا شمال القاهرة ، في ٨ مايو ١٩٧٨. سكرتير تحرير صحيفة «المصري اليوم» اليومية القاهرية . يكتب عامودا صحفيا يوميا بعنوان «عابر سبيل» يتناول الشؤون المحلية والدولية.

(٢٤) **جورجي زيدان**: أديب ومؤرخ عربي مسيحي وُلد في بيروت. أجاد بالإضافة للعربية العبرية والسريانية والفرنسية والإنجليزية. أصدر مجلة الهلال التي كان يقوم بتحريرها بنفسه في ربيع الأول ١٣١٠ هـ الموافق لعام ١٨٩٢، ونشر فيها كتبه. له من الكتب كتاب «تاريخ

وأمين الخولي[٦٢].

ومحمد عبده[٦٣] في الوقائع المصرية التي كانت ثقافية في بداية صدورها وأمين الخولي في الأدب وأحمد أمين[٦٤] في الثقافة وإلى آخره، هذا تراث أنا محصّلته.

التمدن الإسلامي» و«تاريخ آداب اللغة العربية» و«تراجم مشاهير الشرق» وغيرها، بالإضافة إلى اشتهاره برواياته التاريخية كالمملوك الشارد وأرمانوسة المصرية وغيرها. ويوجد مزاعم عن كونه أحد أعضاء الماسونية في العالم العربي.

(٢٥) **الشيخ أمين الخولي (١ مايو ١٨٩٥ – ٩ مارس ١٩٦٦)**: أديب من كبار حُماة اللغة العربية، ومناضل شارك في ثورة ١٩١٩ ونُفي مع سعد زغلول إلى سيشل، بدأ مشوار حياته في أول مايو عام ١٨٩٥ في قرية (شوشاي) مركز أشمون – محافظة المنوفية. وفي الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الأربعاء التاسع من مارس عام ١٩٦٦ رحلت روحه عن دنيانا وعاد جسده إلى قريته شوشاي.

(٢٦) الشيخ محمد عبده: يعتبر من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، التحق في بدايته بالجامع الأزهر وشارك في الثورة العرابية، ثم نفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة ١٨٨٤ م، وأسس صحيفة العروة الوثقى، وفي سنة ١٨٨٥ م غادر باريس إلى بيروت، وفي ذات العام أسس جمعية سرية بذات الاسم.

(٢٧) **أحمد امين**: أديب ومفكر ومؤرخ وكاتب مصري، ولد بالقاهرة سنة ١٨٧٨ م واستطاع بعد محاولات أن يخلع هذا الزي، ثم عمل مدرِّسًا بمدرسة القضاء الشرعي سنوات طويلة، ثم جلس على كرسي القضاء ليحكم بين الناس بالعدل، فصار العدل رسمًا له إلى جانب رسمه، ثم أصبح أستاذاً بالجامعة، فعميدًا رغم أنه لا يحمل درجة الدكتوراة، ثم تركها ليساهم في إنشاء أكبر مجلتين في تاريخ الثقافة العربية هما: «الرسالة»، و«الثقافة»، ثم بدأ

فالغناء نفس الشيء؛ ففي مصر كان لدينا مسرح يقدم المسرحيات العالمية في بداية القرن، وقام هذا المسرح على أكتاف مصريين ولبنانيين وسوريين كيعقوب صنوع[٦٥] وجورج أبيض[٦٦] إلى آخره، فهنا يظهر التراكم، هذا التراكم هو الذي يصنع الدور المصري، لكن علينا ألا نردد الدور المصري والثقافة المصرية، ونكتفي بذلك، بل علينا أن نعمل في تدعيم الأوعية الثلاثة التي أشرت إليها، والتي تحمل الثقافة المصرية إلى كل العالم وهي الاسطوانة والفيلم والكتاب أولًا والكتاب أخرًا.

رحلة من البحث والتنقيب في الحياة العقلية للعرب، فجاء بعد عناء طويل بـ«فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» و«ظُهر الإسلام».أصيب أحمد أمين قبل وفاته بمرض في عينه، ثم بمرض في ساقه فكان لا يخرج من منزله إلا لضرورة قصوى، ورغم ذلك لم ينقطع عن التأليف والبحث حتى توفّاه الله في (٢٧ رمضان ١٣٧٣ هـ= ٣٠ مايو ١٩٥٤م) فبكاه الكثيرون ممن يعرفون قدره. ولعل كلمته: «أريد أن أعمل لا أن أسيطر» مفتاح هام في فهم هذه الشخصية الكبيرة.

(٢٨) **يعقوب روفائيل صنوع (١٥ أبريل ١٨٣٩ - ١٩١٢)**: أحد رواد المسرح المصري والصحافة المصرية الساخرة، ومولير مصر كما أطلق عليه الخديوي إسماعيل.

(٢٩) **جورج أبيض (١٨٨٠-١٩٥٩ م)**: سينمائي ومسرحي لبناني، كان أول نقيب للممثلين في مصر، ودرس في معهد الفنون المسرحية.



مصر إبداع متدفّق

أنا أذكر تعبيرًا جميلًا قلته في تشبيه مصر وحراكها الدائم وأنها لا تجنح أبدًا إلى الجمود أو إلى الثبات شبهتها بمفيض توشكى(٦٧)، بتدفق الأجيال وتدفق المواهب في مصر... بالنيل

نعم، هل توقّف النيل يومًا عن الجريان؟

إطلاقًا، ولن يتوقّف إن شاء الله.؟

نفس الشيء بالنسبة لمصر في المواهب ، بالضبط كما يتدفق هذا النهر سواء علا أو انخفض،

أنا أندهش من المواهب التي تقدمها مصر؛ فهي تنتج من المواهب قدرًا كبيرًا، لكنها تهدر الكثير، لأنه لا يوجد تصوّر شامل لرعاية هذه المواهب،ففي المسابقات التي أجريناها وتقدم إليها الآلاف، لو أن هناك إمكانيات مالية متوفرة كان ١٠٠ شخص

---

(٣٠) **مفيض توشكى**: هو مفيض طبيعي لتصريف المياه الزائدة خلف السد العالي بأسوان ووجوده ساعد على إنشاء مشروع توشكى القومي الموجود الآن في منطقة توشكى بمدينة أبو سمبل السياحية جنوب محافظة أسوان. وقد دخلت المياه إلى مفيض توشكى لأول مرة قي ١٥ أكتوبر ١٩٩٦ حيث وصل منسوب المياه أمام السد العالي إلى ٥٥ و١٧٨ متر.

حصلوا على جوائز متقدمة على الأقل، الكتابة تشعرني أن ما كتبناه وما كتبه الروّاد لم يذهب هدرًا.

هناك أيضًا استيعاب للعصر، الآن يتحدثون عن أزمة الثقافة.. أنا في رأيي أن الجيل الجديد أحسن حظًا منّا؛ لأن هناك مصادر غير مباشرة للثقافة، تساعد في التكوين.. منها التلفزيون.

لكن هذا له محاذيره، ليس مصدرًا أصيلًا للثقافة يغني عن الكتاب.

لكنه لم يكن موجودًا من قبل، وقد يروّج التلفزيون للكتاب ويسانده، كما يحدث في فرنسا في سهرة الأحد مثلًا في برنامج اسمه اروستروروف وهو من أشهر البرامج.. سهرة الإجازة مع برنامج خاص بالكتب.

المواهب عند الغيطاني وأنيس منصور

نحن نلاحظ في حديثك عن الجيل الحالي المعاصر من مواهب ما يتناقض هنا مع ما ذكره الكاتب الكبير أنيس منصور في وصفه لهذا الجيل أنه جيل لا يعرف من أين أتى وإلى أين يذهب..

لا، الأستاذ أنيس أستخدم تعبيرًا أنا أوافقه عليه تمامًا؛ فهو يأتي من المجهول ويذهب إلى المجهول.

أنا أعجبني هذا التعبير لأنه تشخيص دقيق للحال، فمثلًا هناك في القصة وفي الشعر أسماء لامعة جدًا وتذهل بكتابتها ثم تختفي؛ لأنها لم تجد من يساندها كما حدث معنا.

أنتم ساعدوكم من سبقوكم.

نحن وجدنا مساعدة ممن سبقونا ومساعدة ساهمت في تكويننا وفي نشأتنا وفي أن نقف على أرجلنا، كما ذكرت، كنت ذاهبًا لأشكر محمود أمين العالم فإذا به يعرض عليّ العمل في الأخبار، قبل ذلك كان يوجد عبد الفتاح الجمل يمارس دوره في

المساء.. الأستاذ يحيى حقي(٦٨) : كان في يجلس في مجلة المجلة في ٢٧ عبد الخالق ثروت ويُصغي إلى أديب ناشئ قادم من أقصى الصعيد يطلب منه أن يقرأ عليه القصة ويُصحِّح له اللغة ويرشده.. ما من

---

(٣١) **يحيى حقي (٧ يناير ١٩٠٥ – ٩ ديسمبر ١٩٩٢)**: كاتب روائي مصري، صاحب رواية «قنديل أم هاشم». ولد يحي حقي في يوم السبت الموافق ٧ يناير سنة ١٩٠٥ م، لأسرة تركية مسلمة متوسطة الحال؛ غنية بثقافتها ومعارفها، تلقى يحيى حقي تعليمه الأوليّ في كُتّاب «السيدة زينب»، التحق بالمدرسة السيوفية، ثم المدرسة الإلهامية الثانوية بنباقادان، وقد مكث بها سنتين حتى نال شهادة الكفاءة، ثم التحق عام ١٩٢٠م بالمدرسة السعيدية ــ وكان يسكن حينئذ مع أسرته في شارع محمد على ــ عامًا واحدًا، انتقل بعده إلى المدرسة «الخديوية» التي حصل منها على شهادة (البكالوريا)، ولما كان ترتيبه الأربعين من بين الخمسين الأوائل على مجموع المتقدمين في القطر كله، فقد التحق في أكتوبر ١٩٢١م بمدرسة الحقوق السلطانية العليا في جامعة فؤاد الأول.

حصل يحيى حقي في يناير عام ١٩٦٩ على جائزة الدولة التقديرية في الآداب، وهي أرفع الجوائز التي تقدمها الحكومة المصرية للعلماء والمفكرين والأدباء المصريين ؛ تقديرًا لما بذله يحيى حقي من دور ثقافي عام، منذ بدأ يكتب، ولكونه واحدًا ممن أسهموا مساهمةً واضحةً في حركة الفكر والآداب والثقافة في مصر، بدءًا من الربع الأول من القرن العشرين.

كما منحته الحكومة الفرنسية عام ١٩٨٣ م، وسام الفارس من الطبقة الأولى، ومنحته جامعة المنيا عام ١٩٨٣ الدكتوراه الفخرية؛ اعترافًا من الجامعة بريادته وقيمته الفنية الكبيرة، ثم كان يحيى حقي واحدًا ممن حصلوا على جائزة الملك فيصل العالمية ــ فرع الأدب العربي ــ لكونه رائدًا من رواد القصة العربية الحديثة، عام ١٩٩٠م.

في ضحى يوم الأربعاء، التاسع من ديسمبر، عام ١٩٩٢ م توفي يحيى حقي في القاهرة، عن عمر يناهز سبعة وثمانين عامًا؛ بعد أن أعقب تراثًا كبيرًا من الفكر والأدب؛ إبداعًا ونقدًا.\

خطاب وصل ليحيى حقي إلا ورد عليه كان فيه.. ثم يولد الأديب في هذا المناخ الذي يتبناه.. فلقد كان للنقد مصداقيتة، الآن لا يوجد للنقد مصداقية. الآن الحركة الأدبية تمشي على ساق واحدة وهي الإبداع، وهذا لا يكفي؛ لأن الحركة النقدية اضطربت في السنوات الأخيرة.. ثم أصبحت غير واضحة بالاتجاهات الحديثة، مثلًا عندما نقرأ لطه حسين(٦٩) هل نتوقف أمام كلمة عنده تحتاج إلى قاموس؟

لا أعتقد.

---

(٣٢) **طه حسين (ولد ١٨٨٩ – توفي ١٩٧٣)**: أديب وناقد مصري كبير، لُقّب بعميد الأدب العربي. غيّر الرواية العربية، خالق السيرة الذاتيّة مع كتابه «الأيام» الذي نشر عام ١٩٢٩. يعتبر من أبرز الشخصيات في الحركة العربية الأدبية الحديثة.

في عام ١٩٢٦ ألّف طه حسين كتابه المثير للجدل «في الشعر الجاهلي» وعمل فيه بمبدأ ديكارت وخلص في استنتاجاته وتحليلاته أن الشعر الجاهلي منحول، وأنه كُتب بعد الإسلام ونُسب للشعراء الجاهليين وزاد طه حسين فنال من الإسلام والقرآن. فتصدى له العديد من علماء الفلسفة واللغة ومنهم: مصطفى صادق الرافعي والخضر حسين ومحمد لطفي جمعة والشيخ محمد الخضري وغيرهم. كما قاضى عدد من علماء الأزهر طه حسين إلا أن المحكمة برأته لعدم ثبوت أن رأيه قصد به الإساءة المتعمدة للدين أو للقرآن. فعدّل اسم كتابه إلى «في الأدب الجاهلي» وحذف منه المقاطع الأربعة التي أخذت عليه. توفي ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ عن عمر يناهز ٨٤ عامًا.

ولا العقاد، الذي كان يُضرب بأسلوبه المثل في الصعوبة، لكن إذا قرأنا كثيرًا من المقالات النقدية التي تقرأ الآن لم نفهم ما يكتب فيها؛ لأن معظم النقاد الآن يحاولون محاكاة اتجاهات حديثة بدعوى الحداثة، هم لم يستوعبوها، ولم يتمثلوها جيّدًا.

كالبنيوية[٧٠] مثلًا.

نعم، فيلجأون إلى الغموض.. وهذا حل مريح جدًّا في بعض الدول العربية أن يقول المثقفون ما لا يُفهم فيريح هذا من لا يريد التفكير.

---

[٣٣] **البنيوية:** منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم. اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، اشتقّ لفظ البنيوية من البنية إذ تقول: كل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها (أو نفككها) إلى عناصرها المؤلّفة منها، بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها.

غياب النظرة النقدية

هل هذا هو السبب الكبير وراء غياب الحركة النقدية، في جنوحها إلى التنظير وإلى الإغراق في المصطلحات والمدارس والمذاهب النقدية الشديدة الصعوبة والتعقيد أم هو راجع لغياب النظرة النقدية التحليلية الضدية أصلًا؟

الإثنين، فما ذكرته هو بالضبط تشخيص لأزمة النقد؛ النظرة النقدية بشكل عام غائبة وبالتالي تنفي مصداقية النقد.

لكنك بالتأكيد سعيد بأن معركتك التي قدتها بعنوان (لا للتصنيف) ووقفت فيها ضد تصنيف المصريين إلى وطنيين وعملاء ويساريين ويمينيين، أن هذه الظاهرة اختفت من مصر الآن.

هل كان من الممكن تسجيل شاهد على العصر بالروح التي نتكلم بها الآن قبل عشرين سنة؟

لا أعتقد.

أشك.. في عام ١٩٨٥ تولّى رئاسة تحرير الأخبار واحد من شيوخ المهنة وهو الأستاذ سعيد سنبل(٧١)، فعرض عليّ

(٣٤) **سعيد سنبل**: من مواليد محافظة أسيوط بصعيد مصر عام ١٩٢٩ وتخرّج في كلية العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٤٩، وبدأ العمل الصحافي في جريدة المصري عام ١٩٥٢ واستمر بها حتى مارس (آذار) ١٩٥٢، حيث انتقل إلى دار أخبار اليوم للعمل في جريدة الأخبار التي تقرر صدورها في يونيو (حزيران) ١٩٥٢ وتم تعيينه مندوبًا للجريدة في وزارة المالية والاقتصاد. وفي عام ١٩٥٥ أصدر مصطفى أمين قرارًا بتعيينه نائبًا لرئيس قسم الأخبار في جريدة الأخبار، ثم رئيسًا لقسم الأخبار في وكالة انباء الشرق الأوسط لمدة سنة عاد بعدها إلى اخبار اليوم حيث أصبح محررًا اقتصاديًا وأنشأ القسم الاقتصادي الذي اعتبر أول قسم صحافي متخصص في الصحافة المصرية. وفي عام ١٩٦١ أصبح نائبًا لرئيس تحرير أخبار اليوم ثم أصبح مديرًا للتحرير عام ١٩٦٤ . وفي عام ١٩٨٥ أصبح سعيد سنبل رئيسًا لتحرير جريدة الأخبار اليومية، وفي عام ١٩٨٩ تم اختياره رئيسًا لمجلس إدارة أخبار اليوم إلى جوار عمله كرئيس تحرير للأخبار وقام أثناء تولّيه رئاسة مجلس الإدارة بتغيير حجم جريدة الأخبار وتصغيره، وعارضت بقية الصحف المصرية اليومية هذا الحجم في بداية الأمر ثم عادت وأخذت تصدر به في الوقت الحاضر

وأصدر الأستاذ سعيد سنبل مجلة «أخبار الرياضة» عام ١٩٨٩ لتصبح أول إصدار جديد تشهده الصحافة المصرية بعد سنوات طويلة توقف فيها إصدار الصحف والمجلات في مصر، ثم تفرّغ للكتابة وأصبح يكتب عمودًا يوميًّا في الأخبار تحت عنوان «صباح الخير» بالإضافة لما يكتبه في أخبار اليوم والمجلّات الأخرى التي تصدرها الدار.

وفي عيد الإعلاميين عام١٩٩١ كرّمه الرئيس حسني مبارك ومنحه وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى.

وشغل منصب وكيل المجلس الأعلى للصحافة خلال الفترة من ٩١ حتى ٩٨ وسبق أن عين عضوًا في مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتلفزيون من عام ٧٩ لمدة عشر سنوات، وانتخب عضوًا في مجلس نقابة الصحافيين مرّتين عام ٦٧ وعام ٨٥، وآخر منصب شغله الصحافي

في فبراير أن أصبح محررًا للصفحة الثقافية فترددت فتعجب جدًّا، وبدأت العمل فعلا في أكتوبر؛ لأن الصحف كانت فيها قوائم وفي الإذاعة وفي التلفزيون أيضًا قبل ذلك في السبعينيات بأسماء حتى وإن كانت غير رسمية لكن غير مرغوب التعامل معها، فالبتالي حُجِب جيل كامل عن الناس، نشأنا خارج البِنْية، كنا على درجة من المعرفة في العالم العربي أكثر مما نحن عليها في مصر، كانت استضافة شخص كادوارد الخراط[٧٢] أو سمع الله إبراهيم في التلفزيون مشكلة؛ لنقدم برنامج إذا سُمح به أصلًا، وقد يكون هذا الكاتب يساريًّا أو محافظًا أو رجعيًّا.

الراحل هو رئيس مجلس إدارة أكاديمية أخبار اليوم والمركز الإعلامي العربي، وهو متزوج من نادية مكرم عبيد ووالد لأربع بنات وولد واحد.

[٣٥] **إدوار الخراط**: كاتب مصري ولد بالإسكندرية في ١٦ مارس عام ١٩٢٦ في عائلة قبطية أصلها من الصعيد، حصل على ليسانس الحقوق من جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٦م. يمثل إدوار الخراط تيارًا يرفض الواقعية الاجتماعية كما جسّدها نجيب محفوظ في الخمسينات مثلًا ولا يرى من حقيقة إلا حقيقة الذات ويرجّح الرؤية الداخلية، وهو أول من نظّر للـ«حساسية الجديدة» في مصر بعد ١٩٦٧م.

حصل على جائزة الدولة التشجيعية ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣م.

فتصنيف الأدباء على حسب انتماءتهم الفكرية ليس بالشيء الجيد، عندما طلب مني الأستاذ سعيد سنبل قلت له: إنني عندما أقبل أن يكون اسمي على صفحة سوف تكون جزءًا من تاريخ الثقافة.. فلا أستطيع أن أحجب اسمًا بحجة أن هذا يساري أو هذا محافظ أو هذا له اتجاه قد لا يتوافق مع الوضع القائم، فقال لي: كل المطلوب منك أن تحدث نوعًا من التوازن فقط، فوعدته بذلك وقد فعلت.. فكان الاتجاه هو أوّل ما قمت به هو إزالة التعتيم الإعلامي الذي كان مضروبًا على كُتّاب جيلي، خاصة كتّاب الستينيات كان بعضهم أصبح معروفًا على المستوى العالمي وغير معروف في مصر، فبدأنا ننشر عنهم وبدأت الصحف الأخرى تكتب أيضًا، لكن هذا كان يتم في مناخ عام يتغير شيئًا فشيئًا في الثمانينيات، لم يعد مقبولًا مثلًا أن يقف أحدهم أمام السيد الرئيس في معرض الكتاب ويهاجم آخرًا؛ لأنه يساري وكانت الدعوة التي يوجهها الرئيس مبارك في البداية أن الكل أبناء مصر، تلك طفرة

كبيرة جدًّا. فالرئيس مبارك لكل المصريين، لم يكن هناك انحياز لاتجاه ضد الآخر.

وأيضًا في الإعلام المصري انعكس بوضوح.

عندما قلت أن الزيني بركات قد كُتبت في سنة ٧٠ وأُنتجت في التلفزيون في ١٩٩٤ و٩٥ كنت أعني ذلك.

الديموقراطية المزيّفة

الكاتب الكبير أستاذ جمال الغيطاني ذكرت الراحلة الكبيرة الدكتورة لطيفة الزيات(٧٣) في شهادتها على العصر في هذا البرنامج أنها لاحظت أثناء اعتقالها في أحداث سبتمبر ٨١ أن المعتقل كان صورة مصغرة من المجتمع المصري بكل تياراته الإسلامية والعلمانية واليسارية واليمينية والمحافظة والليبرالية إلى

---

(٣٦) **الدكتورة لطيفة الزيات** (**٨ أغسطس ١٩٢٣ – ١١ سبتمبر ١٩٩٦**): روائية مصرية ماركسية، فتاة شرقية ولدت في مدينة دمياط ٨ أغسطس ١٩٢٣. وامتدت خبرتها إلى مدن عديدة بحكم عمل والدها في مجالس البلديات، ولكنه توفي عام ١٩٣٥ ، وهي في الثانية عشرة من عمرها. وتميّزت بالقدرة الفائقة على مكاشفة النفس والتعبيرات عن الذات، رحلت في ١١ سبتمبر سنة ١٩٩٦ بعد أن أصابها سرطان الرئة. وأصابتها الدنيا بحرمانها في سنواتها الأخيرة من الزوج والولد أو البنت.

آخره؛ لأن بجانبها كانت السجينات كلهن من كل هذه التيارات ما بين بنت صغيرة محجّبة وما بين شيوعية، كاتبة، أستاذة في الجامعة، فهل هذه هي سمة المجتمع المصري المعاصر؟ تعدد الدوائر والتيارات...

تجمُّع كل هؤلاء في لحظة واحدة داخل المعتقل في حد ذاته أكبر دلالة على المأزق أو المأساة التي وصل إليها النظام في ذلك الوقت، والتي أدت إلى نتائج مأساوية، وهذا ما يؤكد حدسي في البداية الذي ذكرته أنني لم أكن مقتنعًا بالحديث عن الديمقراطية التي دُعي إليها في عام ١٩٧١، صحيح أنه في بعض التطوّرات التي حدثت، لم تكن تطوّرات عميقة، في لحظة الصدام ظهر الجوهر الحقيقي للحاكم والقمع، هل من المعقول أن تتجمع كل هذه الاتجاهات.. كانت اللعبة السياسية قائمة على التوازن؛ يضرب اليسار فيحدث التصالح مع اليمين أو العكس، وهذا أيضًا كانت له مخاطره لأن ما عانيناه من تطرف أو نشوء الجماعات المتعصبة ولدت هذه الجماعات في البداية من رحم السلطة، الذي فصل

١٠٤ كاتبًا من ألمع كتاب مصر في عام ١٩٧٣، قائمة فبراير الشهيرة كان محافظًا لإحدى محافظات الصعيد، وكان هو الذي يسلّح الجماعات المتعصّبة في الجامعات لتضرب الناصريين والشيوعيين في ذلك الوقت.

محمد عثمان إسماعيل(٧٤)

وُلد التطرّف من هنا، وخرج منه الغول الذي أدى إلى المأساة التي حدثت في أكتوبر؛ كالإرهاب وما إلى ذلك، إن أخطر ما يمكن أن يُهدد أي مجتمع هو الإحساس بالظلم الاجتماعي، وهذا ما يغذّي المناخ الذي تعمل فيه الجماعات المتطرفة، إنه

---

(٣٧) **محمد عثمان إسماعيل**: من مواليد قرية المعصرة بمركز أبنوب بأسيوط ١٩٣٠، كان والده عمدة القرية ، ودرس حتى الثانوية في أسيوط ثم كلية الحقوق في القاهرة وتخرج عام ١٩٥٤ وكان عضوًا لمجلس الشعب في عهد جمال عبد الناصر منذ عام ١٩٦٤ وحتى عام ١٩٦٨ ثم أصبح أمين الأتحاد الإشتراكى عام ١٩٦٨ وعيّنه السادات محافظ أسوان عام ١٩٧١ ثم محافظ بنى سويف، بعدها كان مستشار رئيس الجمهورية لشئون مجلس الشعب ورئاسة الجمهورية والأمين العام لتنظيم الاتحاد الإشتراكي، ثم عُين محافظًا لأسيوط في عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٢ وهي عشرة سنوات جوع مرّت على أسيوط وحوّلتها إلى محافظة فقيرة ومركزًا لنشاط الجماعات الإسلامية وللإرهابيين وكان منهم الذين شاركوا في جرائم وأحداث إرهابية قبل وبعد إغتيال السادات.

الشباب.. ليس لديه أمل في مستقبلهم، أخطر ما يواجه المجتمع المصري الآن مشكلة البطالة، فالجامعات تُلقي إلى الشارع في كل عام بمئات الآلاف بدون فرص عمل كافية متاحة لهم، وبالتالي هناك نوع من انسداد الأمل في المستقبل، فلا توجد خطّة واضحة تحدد وجود عمل لهذا الشاب ولو بعد عشر سنوات، أنت تتركهم للمجهول.. فالمجهول هو التطرف والتعصب.

التنمية وأزمة الشباب

لذلك تركّز الدولة جهودها الآن على التنمية التي تخلق فرص عمل للشباب والمشروعات الجديدة التي تتم الآن..

أنا أرجو هذا، وإن كان في رأيي إلى هذه اللحظة أن هذه المشروعات غير كافية لاستيعاب هذه الأعداد الكبيرة.. نحن نتحدّث عن المواهب وعن الإهدار، لقد اكتشفنا في السنوات الأخيرة كتّابًا موهوبين جدًّا لكنهم يتوقفون؛ لأنهم بلا عمل، منهم من درس التجارة مثلًا، قديمًا كان بكالوريوس التجارة من المؤهلات المتميزة وتفاجأ أنه يبيع الدجاج، وأنا لا أفرح بالكتاب الذين يدعون بعض الشباب مثلا من درس الطب مثلًا للعمل في فندق، وأن يبدأ السلّم، أليس من الأفضل أن تجعله يدرس الفنادق من البداية؟ كيف تنفق الدولة على شاب يكلّفها ما يكلف لكي يحصل على بكالوريوس تجارة أو ليسانس آداب ثم تجعله جرسونًا في قرية سياحية، نعم فرصة العمل شريفة ومتاحة ولكن لماذا لا

تكون هناك خطة عامة تلبّي الاحتياجات القائمة الآن بالفعل في المجتمع، نحن نعمل بأدوات قديمة لمجتمع تغيّر.

متغير، لكنني أعتقد أنك لا تختلف معي في وجود جهود حقيقية تُبذل.

لا شك أن هناك جهود تبذل، لكن..

تطالب بمزيد من الأمل للشباب.

نعم، وخطة واضحة للقضاء على البطالة.. نعم أنا أعرف أن هناك مشكلة تزايد كبيرة جدًا في عدد السكان.

أزمة التعليم الخاص

ومشكلة تزايد عدد كبير جدًّا في الخريجين يقتضي إعادة النظر في العملية التعليمية بأكملها، ليس بأن أُنشئ جامعات أهلية جديدة، هذه الجامعات الخاصة الجديدة أصابتني أنا شخصيًا بصدمة؛ لأننا نعرف لماذا أنشئت هذه الجامعات... لأولاد الأغنياء الأثرياء الكسالى.

لا تبني لي جامعة على مرمى حجر من جامعة القاهرة يدخلها من يملك المقدرة، هذا موضوع يدخل أيضًا في فكرة الانحياز إلى الأغلبية، التي تحكمني بصرامة حتى الآن، نحن بالنسبة للمدارس الخاصة نشأنا على فكرة أن التعليم كالماء والهواء، التي زرعها طه حسين في المجتمع المصري، وأنا واحد من محصلة هذا الغرس، فكنا نسمع ونحن في المرحلة الإعدادية عن مدرسة خاصة في الفجّالة اسمها مدرسة رجب مرجان..

نعم

كانت مرتبطة عندنا بالذين فشلوا في الحصول على الثانوية العامة فيضطرون للجوء إليها، فالغير قادر على مواكبة التعليم الحكومي يلجأ إلى التعليم الخاص، والآن لم تعد مدرسة ثانوية.. أصبحت جامعات. كيف أنشئ جامعات خاصة ونحن لدينا من الجامعات ما لا نجد عملا للخريجين؟!

أنا أعتقد أن كثيرًا من المصريين يرسلون أولادهم للتعليم الجامعي في الخارج في أوربا، فهنا تكون مصر أولى بأبنائها وبجامعاتها وأن تُنشأ الجامعة على أرضها، ثم أننا لاننسى أن جامعة القاهرة نفسها نشأت أهلية..

هناك فرق، وهذه مغالطة أو حق يراد به باطل.

كيف؟

واسمح لي أن أكون صريحًا، الأميرة فاطمة(٧٥) عندما تبرّعت بالأرض التي كانت تملكها وكانت من الأثرياء كبقة أمثالها يبتغون وجه الله ووجه العلم ووجه الوطن تبرَّعوا بأموالهم لإنشاء الجامعة، ولم يدخلوا مشروعًا استثماريًا، كيف تريد مني أن أصدق الآن أن تاجرًا للبيض أو صاحب مزرعة أو الذين احترفوا التجارة بالعملية التعليمية يريد أن ينشأ جامعة تصبح على مستوى علمي معين؟ هناك فارق كبير بين الاستثمار وبين من يريد أن ينشأ جامعة

---

(٣٨) **الأميرة فاطمة إسماعيل (١٨٥٣–١٩٢٠)**: هى إحدى بنات الخديوي إسماعيل، تزوّجت عام ١٨٧١ من الأمير طوسون بن محمد سعيد باشا والى مصر، وانفردت بين أخواتها بحبها للعمل العام، وحرصها على المساهمة في أعمال الخير، ورعاية الثقافة والعلم، وكان ابنها الأمير عمر طوسون أكثر أمراء أسرة محمد على إقبالًا على العمل العام، وتجاوبًا مع الحركة الوطنية، ورعاية للعلم وتشجيعًا للعلماء، ويعكس هذا تأثّره بأمّه راعية للعلم والثقافة.

لذلك عندما أطّلعت الأميرة فاطمة على الصعوبات التى تعانيها الجامعة المصرية عن طريق طبيبها الخاص محمد علوي باشا (عضو مجلس الجامعة المصرية) بادرت الأميرة بإقالة الجامعة من عثرتها المالية؛ فأوقفت مساحة من أراضيها الزراعية على الجامعة حتى تجري ريعها على الجامعة فتضمن بذلك مصدرًا للتمويل، كما تبرّعت بجواهرها الثمينة لتوفّر للجامعة سيولة مالية عاجلة، وامتد كَرَمها إلى منح الجامعة مساحة من الأرض ليقام عليها الحرم الجامعي، وشاركت في وضع حجر الأساس للجامعة، وانتقلت إلى رحمة الله قبل أن ترى صرح الجامعة وقد شُيِّد ومنارتها تسطع بنور العلم على مصر والوطن العربي.

يبتغي أن يجني من ورائها ربحًا وبين من كان يتبرع، هذه مغالطة أرجو أن لا نقع فيها.

إذن فسيادتك متحفّظ على فكرة إنشاء الجامعات الأهلية وتتمنى إن تتراجع هذه المسألة وأن تُدرس بعناية.

لم يعد لدينا يا سيدي إلا أن نتمنى، ولم يعد لدينا إلا أن نحلم والقدرة على الحلم في حد ذاتها بشارة للأفضل.

الكاتب الكبير الأستاذ جمال الغيطاني كان أول كتبك «أوراق شاب عاش من ألف عام» لو فكّرت أن أنهي هذه الشهادة الآن بأوراق شا سنقول ماذا؟... شيخ

أصبحنا شيوخًا قبل الأوان

(أوراق شيخ عاش منذ ألف عام)، لو أنك تثبت في تاريخك شهادتك على هذا العصر الذي عشته وتحب أن يقرأها جيل ما بعد ألف عام في سطور قليلة ماذا تقول فيه؟

لقد عانينا وضحّينا، ولكن أخلصنا للوطن ولوجه الثقافة ولوجه المعرفة ولوجه الله، ولست نادمًا إطلاقًا على ما دفعته

أو ما عشته، ولكن كل ما أتمناه أن يطيل الله في عمري بضع سنوات لكي أتمكن من أنجز فيها ما أريد أن أنجزه وهو كثير، لم نفقد الأمل حتى في أحلك الظروف وفي أصعب السنوات، في تقديري أن أصعب السنوات من ٦٧ إلى ٧٣ وإيماني بهذا الوطن ازداد عمقًا في السنوات الأخيرة نتيجة معرفة تفاصيل تاريخه ونتيجة ثرائه وقدرته على الاستمرار والتحوّل وأستشعر الآن رغم كل الصعوبات التي مرت ورغم كل التحفّظات التي أتحدث عنها أن الآمال في المستقبل كبيرة جدًّا.. المهم أن نتغلب أولًا على ما يوجد داخلنا من ضعف وعلى ما يتربص بنا من الخارج من قوًى لا تريد لهذا الوطن أن يسمو وأن يرتفع.



هذا كان خير ختام لهذه الشهادة شديدة الثراء من الكاتب الكبير الأستاذ جمال الغيطاني الروائي الكبير ورئيس تحرير أخبار الأدب ورئيس الصفحة الأدبية بأخبار اليوم، نشكره عليها شكرًا جزيلاً ونرجو أن نلقاه دائـمًا على خير وأن يحقق الله أمنيته وآماله التي ذكرها في ختام شهادته.

شكرًا.

الفهـــرس

المـــــوضـــــوع	رقم الصفحة